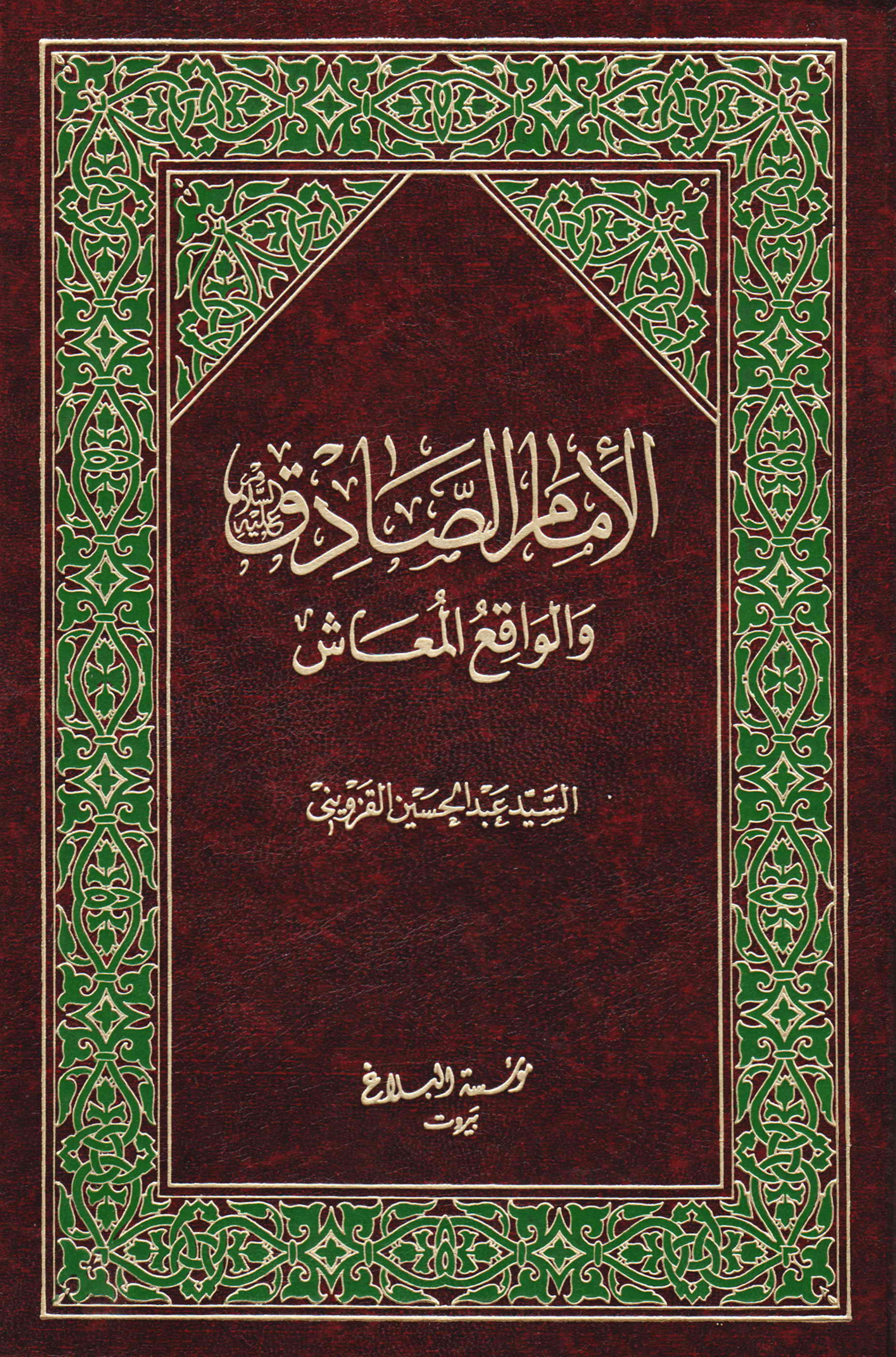

الإمام الصادق عليه السلام
والواقع المعاش
السيد عبد الحسين القزويني
مؤسسة البلاغ
بيروت


الإمام الصادق
والواقع المعاش



السيد عبد الحسين القزويني

مؤسسة البلاغ
بيروت

الطبعة الأولى
١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

مؤسسة البلاغ - لبنان - بيروت - ص.ب ٧٩٥٢

الاهداء

إلى الذي علّمني كيف تُصاغُ الكلمة . .
إلى الذي عشقت فيه قلمه . .
من احتوى آلامنا حتى ساسى ألمه . .
هديتي للعالم النحرير ،
للحبر الكبير ،
بالنور محفوفاً ، كريماً ، من نِجارِ فاطمة . .
إليك أهدي هذه الوريقة الخضراء .
إليك أيها الذي ظُلِم !
إليك أيها العَلَم !
إليك أيها المهاجر الذي لم يسقطِ القلم !
يابن رسول الله يا من تنتمي إلى ذرى العلياء !
إلى كريم المحتد ، إلى السديد السيد ،
إلى الذي عرفته منذ صِبا أيامي -

بحراً رسمت من خلاله أحلامي .
الى الهدى إلى التقى ،
الى الذي حازَ المكارم وارتقى !
الى الذي أرادنا أن نسلكَ الطريق عَبْرَ الكلمة .




بسم الله الرحمن الرحيم

نتفق جميعاً أن النمط الحياتي الذي نمارسه ونعايشه - كمسلمين -، والطريقة التي نزاولها في حياتنا العامة ، بعيدة كل البعد عن المعايير والموازين الإسلامية المثلى ، والشقة فيما بيننا كبيرة واسعة جداً ، واننا في مواصلة دائمة على طريق الابتعاد هذا ، فنحن في واد والإسلام في واد ، ولا أستبعد أن نبوءة النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) عن مستقبل المسلمين قد تحققت، حيث قال : « سيأتي زمان على امتي . . . لم يبق من الاسلام إلاّ اسمه ومن القرآن إلاّ رسمه» .

وبنظرة عاجلة وبسهولة ويسر يكتشف المرء البونَ الشاسع والشُقّةَ البعيدة والفرقَ الكبيرَ بين الإسلام - كنظامٍ للحياةِ - وبين ما نحن فيه من التقهقرِ والانحطاط .

ولا تقع اللائمة في هذا الانتكاس على فرد دون فرد أو جماعة دون أخرى فالجميع سواء في التقصير والتقاعس حاكمين ومحكومين ، شعوباً وحكومات أفذاد وجماعات .

فأي النظم السائدة يصادق عليها الاسلام ؟

وأي الصفحات من الدساتير يوافق عليها الدين الحنيف ؟

وأي الأسس الاقتصادية والقواعد السياسية الحاكمة والقوانين المعمول بها في بلادنا ، يرتضيها الاسلام ؟

حتّى السلوك الفردي لنا وموازين الحياة وسبل العيش كلها مطبوعة بطابع لا يُحبِّذهُ الإسلام !!

إن الثقافة الاستعمارية التي تركنا الأبواب مفتوحة لها لتغزو بلادنا سلبتنا روح الإسلام ومضامينه ، وتركت جيلنا يتخبّط في ضياع ، ويسير في تيه ، فلا هو آخذٌ بمعالم دينه ومستمسكٌ بالعروة الوثقى ، ولا هو قلد الاستعمار القادم من الشرق والغرب في بعض إيجابياته ! .

ولعل من أهم المشاكل التي نعاني منها اليوم والتي اسهمت بشكل فعال في هذا الابتعاد عن الإسلام ـ اننا لا نجد التوجيه الديني الصحيح الذي يحفظ لنا الإسلام طرياً في القلوب سائغاً قابلاً للاستفادة منه ، ولو وُجِدَ القادرُ على ذلك ، المتمكنُ من قيادة الناس الى الخير والصلاح فانه مقهور مغلوبٌ على أمره ، أو مشردٌ أو مقتول !!

اننا نعيش ـ اليوم ـ هجمة عنيفة ، وحرباً ضروساً ضد الإسلام على يد أعدائه وحتى بعض القائمين عليه ـ على حدّ سواء ـ ولا نجد من يقاوم هذا الغزو الفكري والهجمة البربرية .

حتى أُولئك المحسوبين على الاسلام ودعاة الذود عنه ، هنا وهناك ، يشوهون صورته وسمعته ، ويقتلون الحبَّ في النفوس

تجاهه ، بأفعالهم المنافية للأقوال ، وحركاتهم المعاكسة للإسلام .

انهم ينفرون الناس عن الإسلام من حيث يشعرون أو لا يشعرون ، لأنهم يقولون ما لا يفعلون ، ويرتكبون ما ينهونَ عنه ، يأمرون بالخير ويأتون الشر ، وبالتواضع ويمارسون الكبر يدعون الى الامانة فيخونون والى الاقدام فينكصون أنهم يقدمون المفاهيم الإسلامية للناس قولاً ويخالفونها عملاً ، معتقدين ان الناس يسمعون ولا يبصرون ! **﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾** [1]

إن هذه الازدواجية التي يراها المسلم في سلوك كباره ورجاله لهي أشدّ خطراً من كل خطر ، واعظم وبالاً من كل سوء ، انها المعاناة التي تركت شبابنا لقمة سائغة للسارق المستعمر وثقافته الفتاكة .

إنّ هذا النفاق العملي والسلوكي يترك أثراً سيئاً في نفوس الناس يحجب عنهم الرؤية الحقيقية الصادقة للاسلام فيبعدون عنه وينفرون منه كما هو واقع بالفعل . **﴿ولا أريد أن أخالفَكُم إلى ما أنهاكم عنه إن أُريد الّا الاصلاح ما استطعت . .﴾**[2] .

فالاصلاح السياسي والاصلاح الاجتماعي والاصلاح الاقتصادي . . . والاصلاح بوجه عام ، لا يتأتى ولا يتحقق الا حين يبدأ المصلح باصلاح نفسه فلو خالف الى ما نهى عنه أو توانى عما

---

(١) البقرة ٤٤ .

(٢) هود ٨٨ .

أمر به مُني بالفشل في إصلاح الناس لأنه فشل في إصلاح نفسه .

فلنكن واقعيين جميعاً ولنسهم اسهاماً فعالاً في الاصلاح ولنبدأ بأنفسنا أولاً ولنقف على أبواب التاريخ لنبحث عن القدوة الصالحة والاسوة الصادقة من بين الوجوه المشرقة في تاريخنا العظيم من شخصيات الثروة المعنوية التي يملكها الاسلام من رجاله الصالحين الصادقين الذين جاعوا ليأكل الناس ، وسهروا لينام الناس ، واعطوا ومنحوا من كيانهم وحياتهم لأجل الله والناس . . .

إن الحاجة ماسةٌ والضرورة ملحّةٌ لمثل هذه القيادات الصالحة التاريخية لننهل من معينها ونهتدي بأنوارها .

إن القيادة الصالحة هي التي تبني القاعدة المتينة وتهيىء المناخ الصالح للعود الى الاسلام الاصيل فلو صَلُح العالِم صَلُحَ العالَم وكذلك العكس بالعكس ، .

ولو كنا مفتقرين الى مثل هذه القمم المشرقة ـ اليوم ـ فلا نعدم ذلك في طيات التاريخ ، رجالاتٍ وقادةً وعظماء كرسوا حياتهم لخدمة الدين واصلاح الناس وتثقيف الامة بثقافة الاسلام .

ويأتي آل البيت (عليهم الصلاة والسلام) على رأس قائمة العظماء والعباقرة المصلحين .

من هنا رأيت أن أكتب رسالة متواضعة عن حياة رجل من هؤلاء القادة العظام ، السابقين في ميادين الخير والعطاء ، وإمام من أئمة المسلمين الذين تتوهج حياتهم معاني مثلى وقيماً نبيلة ، لنتخذ من أسلوبه في ممارسة الحياة طريقاً الى اصلاح حالنا ولنقارن بين حياته

وحياتنا عَلَّنا نوفق - من خلاله - للرجوع الى اسلامنا العزيز وقرآننا العظيم .

وحين خيّرت نفسي في الكتابة عن أحدهم ، وجدت الامام الصادق جعفر بن محمد (عليه الصلاة والسلام) ، يقف شامخاً في قمة الفضل والعلم والنُهى ، فهو إمامٌ من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، ومعلم قدير لكل الذين تلوه من أرباب العلم والفكر ورائد في ميادين شتّى من العلوم والفنون ، واستاذ في خلقِ جيل يربو تعدادهم على أربعة آلاف من الفقهاء والمحدثين .

وحياته التي طالت - نسبياً - مشحونةٌ بالفضائل والمناقب والمآثر . وسماؤه مُزيّنةٌ بكواكب لا عدّ لها ولا حصر من العطاء المعنوي والمادي .

ومنه (عليه الصلاة والسلام) يبدأ - كما يقول الكاتب القدير المستشار عبد الحليم الجندي - (التأصيل الواضح لمنهج علمي عام للفكر الاسلامي ، نقلته اممُ الغرب فبلغت به مبالغها الحالية) .

وفوق ذلك كله ، فالامام الصادق (عليه السلام) يمثل العالِمَ الاسلامي الوحيد الذي قامت على أساس مبادئه العلمية والفكرية ومنهاجه التربوي دول عظمى في تاريخ الإسلام !! .

وأنّى لي أن أحيط بالامام جعفر بن محمد في هذا الكتيّب الصغير . وكيف لي - أو لغيري - أن يحوي أبعاد حياة الامام العظيم الصادق الكريم ، (عالم آل محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلم)) ، ولكنها باقة من روض وغيض من فيض أقدمها للقارىء الكريم ، آملاً

الوصول الى النتيجة المبتغاة والمحصلة المطلوبة ، راجياً العلي القدير أن يلهمني الصواب ويرشدني الطريق للوصول للهدف المنشود .

﴿ربِّ اشرح لي صدري ، ويسّر لي أمري ، واحلل عقدة من لساني ، يفقهوا قولي﴾[1] .

السيد عبد الحسين القزويني

(١) طه ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ .



جَعْفَر بْن مُحَمَّد "عَلَيْهِ السَّلَام"؟

انـه الإمام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (صلّى الله عليهم جميعاً وسلم) .

سادس أئمة أهل البيت ، اسمه جعفر ولقبهُ جدّه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) (بالصادق) عن الثمالي يروي عن علي بن الحسين (عليه السلام) عن أبيه عن جدّه (عليهم السلام) يقول : قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : « إذا ولد ابني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فسمّوه الصادق فانه سيكون في ولده سميّ له يدّعي الامامة بغير حقها ويسمّى كذاباً » .

ولد بالمدينة المنورة يوم الاثنين ١٧ / ربيع الأول في ذكرى ولادة جدّه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) سنة ٨٣ هجرية وعاش خمساً وستين سنة أو ما يقرب من ذلك . واستشهد متأثراً بسُمّ المنصور العباسي سنة ١٤٨ هجرية . وعاش بين التاريخين حياة كريمة معطاء ملؤها الخير والبركة ونثارها العلم والمعرفة ، معاصراً عدّة من سلاطين بني أمية وبني العباس يعاني منهم الامرّين فقد كانت أيام إمامته تعاصر بقية ملك هشام بن عبد الملك ، والوليد بن

يـزيـد بن عبـد الملك ، ويـزيــد بن الـوليــد بن عبـد الملك ، الملقب بـالنـاقص ، وابـراهيم بن الـوليــد ، ومُلك مـروان بن محمــد الملقب بـالحمار . ثم قـامت الدولـة العبـاسيـة ، فحكم أبـو العبـاس السفـاح ، المسمى بعبــد الله بن محمــد بن علي بن عبــد الله بن الـعبــاس ثـم انتهى فملك اخـوه أبـو جعفـر (عبـد الله المنصــور) اكثـر من عشــرين سنـة عاصـره الامام عشـراً منها وكـانت أيـامـه أشـدّ الفتـرات التـاريخيـة بالنسبة للصادق (عليه السـلام) وقد بلغ سيـل العسف والجور الـزبى ، وكانت نهاية الامام في أيامه متأثراً بسمّ دسّه إليه .

فـالمدة الأطـول والفترة الأهـم في حيـاة الصـادق (عليـه السـلام) كانت مع الدوانيقي العباسي .

ولقـد كان من الفضـل بمكان يقـرُّ له المنصـور بنفسه ويشهـد هـو بفضـل الصادق (عليه‌السلام) فعن الـربيع صـاحب المنصور قـال : بعث المنصور الى الصادق جعفـر بن محمد يستقـدمه لشيء بلغـه عنه ، فلمـا دخـل سلّم فردّ عليـه السلام ثم قـال له : يـا جعفر قـد علمتَ أن رسول الله (صلّى الله عليــه وآلــه وسلم) قــال لأبيــك عليّ بن أبـي طــالب (عليــه السـلام) « لــولا أن تقـول فيـك طـوائف من أمتي مــا قــالت النصـارى في المسيـح ، لقلت فيـك قـولاً لا تمـر بمـلأٍ إلا أخــذوا من تراب قدمـك ، يستشفون بـه » وقال عليّ (عليـه السلام) : « يهلكُ في اثنـان ولا ذنب لي ، محبٌّ غـال ، ومبغض مفــرط ! قـال : قــال ذلـك اعتذاراً منه انـه لا يرضى بمـا يقول فيـه المغالي والمفـرط ، ولعمري إن عيسى بن مريم(عليه السلام)، لو سكت عمـا قالت فيـه النصارى لعـذّبه الله ، ولقـد تعلم ما يقـال فيك من الـزور والبهتان وإمسـاكـك عن ذلـك

ورضاك به سخط الديان ، زعموا أنك حبر الدهر ، وناموسه ، وحجة المعبود وترجمانه ، وعيبة علمه ، وميزان قسطه ، ومصباحه الذي يقطع به الطالب عرضَ الظلمةِ الى ضياء النور .

. . . فقُل فان أول من قال الحق جدك ، وأول من صدقه عليه أبوك ، وأنت حريٌّ أن تقتصَّ آثارهما ، وتسلك سبيلهما .

الى هنا كان الكلام للمنصور مستنكراً ما قيل في حق الصادق (عليه السلام) من النعوت الذي ذكرها ، والذي نلاحظه من جواب الصادق له أنه (عليه الصلاة والسلام) لم يرفض ما قيل في حقه ، بل أضاف ما أضاف ، وأفحم طاغوته في رَدِّهِ له ، ووافق المنصور على ما ذكره الإمام (عليه السلام) .

قال الصادق (عليه السلام) : «أنا فرع من فروع الزيتونة ، وقنديل من قناديل بيت النبوة وأديب السَفَرَة ، وربيب الكرام البَرَرَة ومصباح من مصابيح المشكاة التي فيها نور النور ، وصفوة الكلمة الباقية في عقب المصطفين الى يوم الحشر » .

فالتفت المنصور الى جلسائه وقال : هذا قد أحالني على بحر موّاج لا يُدرك طرفه ، ولا يُبلغُ عمقه ، تحار فيه العلماء ، ويغرق فيه السبحاء ، ويضيق بالسابح عرضُ الفضاء ، هذا الشجىٰ المعترض في حلوق الخلفاء ، الذي لا يجوز نفيه ، ولا يحل قتله ، ولولا ما يجمعني وإياه شجرة طاب اصلها ، وبسق فرعها وعذب ثمرها ، وبوركت في الذرّ ، وقدست في الزُبُر ، لكان منّي إليه ما لا يحمد في العواقب ، لما يبلغني عنه من شدة عيبه لنا ، وسوء القول فينا .

يقول عنه أنس بن مالك (فقيه المدينة) :

« كان رجلاً لا يخلو من احدى ثلاث خصال : اما صائماً ، واما قائماً ، واما ذاكراً ، وكان من عظماء العُبّاد ، واكابر الزهّاد ، الذين يخشون الله (عزّ وجلّ) وكان كثير الحديث ، طيّب المجالسة ، كثير الفوائد ، فإذا قال : قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، اخضرَّ مرةً واصفرَّ اخرى ، حتى ينكره من كان يعرفه ، ولقد حججت معه سنة ، فلما استوت به راحلته عند الاحرام ، كان كلما همَّ بالتلبية انقطع الصوتُ في حلقه ، وكاد أن يخرَّ من راحلته ، فقلت : قل يا ابن رسول الله ، ولا بدّ لك ان تقول ، فقال كيف اجسر أن أقول : لبّيك اللهمّ لبّيك ،واخشى أن يقول(عزّ وجلّ)لي : لا لبّيك ولا سعديك » .

ويصفه مالك أيضاً فيقول : « والله ما رأت عيني أفضل من جعفر بن محمد ، زهداً وفضلاً وعبادة وورعاً ، وكان والله اذا قال صدق » .

وكان أكثر الرواة حين يتحدثون عنه يقولون : « حدّثنا الصادق عن الصادق » .

وأمّا أبو حنيفة ، فأقواله عن الصادق مشهورة ، منها قوله : « لولا السنتان لهلك النعمان » ، يشير الى السنتين اللتين حضرهما درس الامام (عليه السلام) .

ويقول أيضاً : « ما رأيت أفقه من جعفر بن محمد » .

وشاعره السيد الحميري ، كان كيسانياً ، يقول بالغلوّ ثم التقى

بالامام الصادق (عليه السلام) فأرشده الى طريق الصواب ورحاب الإيمان فقال في الامام نظماً :

فلما رأيت الناس في الدين قد غووا تجعفرت باسم الله فيمن تجعفروا
تجعفرت باسم الله والله اكبر وأيقنت ان الله يعفو ويغفر
ودنتُ بدين غير ما كنتُ ديّناً به ونهاني واحد الناس جعفر

الى آخر القصيدة ، وله قصائد كثيرة في مدح الامام (عليه السلام) نال بها جزاء الخير في الدنيا ، وسينال في الآخرة أيضاً .

ويقول عنه في قصيدة اخرى :

أمدح أبا عبد الإله فتى البرية في احتماله
سبط النبي محمد (ص) حبلٌ تفرعَ من حباله
تغشى العيون الناظرات اذا سَمَون إلى جلاله
عذب الموارد بحرُهُ يروي الخلائق من سجاله
بحر اطلَّ على البحور يمدّهنَّ ندى بلالِه
سقت العبادَ يمينُهُ وسقى البلاد ندى شمالِه
يحكي السحاب يمينُهُ والودق يخرجُ من خلالِه
الأرض ميراثٌ له والناس طُرّاً من عياله
يا حجّة الله الجليل وعينه وزعيمُ آله
وابن الوصيِّ المصطفى وشبيه أحمد في كماله
انت ابن بنت محمد (ص) حذواً خُلقت على مثاله
فضياء نورك نوره وظلال دمعك من ظلاله
فيك الخلاص من الردى وبك الهداية من خلاله
اثني ولستُ ببالغٍ عشر الفريدة من خصاله

وقال أبو حاتم : « جعفر الصادق ثقةٌ لا يُسأل عن مثله » .

وكان حفص بن غياث[1] اذا حدَّث عن الامام الصادق (عليه السلام) يقول : « حدّثني خير الجعافرة ، جعفر بن محمد » .

وقال الشهرستاني في الملل والنحل : « جعفر الصادق هو ذو علم غزير في الدين ، وأدب كامل في الحكمة ، وزهد في الدنيا وورع تام عن الشهوات ، وقد أقام بالمدينة مدة يفيد الشيعة المنتمين إليه ، ويفيض على الموالين له في أسرار العلوم » .

وقال القرماني في تاريخه : « الإمام الصادق كان بين اخوته خليفة أبيه ، نقل عنه من العلوم ما لم ينقل عن غيره . كان راساً في الحديث » .

وقال ابن حيّان : «جعفر بن محمد كان من سادات أهل البيت فقهاً وعلماً وفضلاً » .

---

(١) حفص بن غياث النخعي الكوفي القاضي ، ولي القضاء لهارون الرشيد ببغداد الشرقية ، ثم ولاه قضاء الكوفة وبهامات سنة ١٩٤ كما ذكر ذلك النجاشي وذكر ان كتابه الذي يرويه عن جعفر بن محمد عليهما السلام مائة وسبعون حديثاً أو نحوها .

وهو على الاشهر عامي المذهب ثقة في الرواية ، وقد اجمعت الطائفة على العمل برواية جماعة ليسوا من الشيعة وحفص احدهم ، وليس التشيع السبب الوحيد لقبول الرواية ، وانما المدار على وثاقة الراوي مهما كان مذهبه . وربما استظهر بعضهم من رواياته انه شيعي إمامي ، ولكن العامية عنه اشهر ، وكان اذا حدث عن الامام الصادق عليه السلام يقول : « حدّثني خير الجعافرة جعفر بن محمد » .

وقال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي (في مطالب السؤول) : « جعفر بن محمد هو من علماء أهل البيت وساداتهم ذو علوم جمّة . . . يتتبع معاني القرآن ويستخرج من بحره جواهره ويستنتج عجائبه . . . نقل عنه الحديث واستفاد منه العلم جماعة من أعيان الأمة وأعلامهم مثل يحيى بن سعيد الأنصاري وابن جريح ومالك بن أنس والثوري وابن عيينة وأيوب السجستاني وغيرهم ، وعدوا اخذهم عنه منقبة شرفوا بها وفضيلة اكتسبوها .

وقال الجاحظ : « جعفر بن محمد ملأ الدنيا علمه وفقهه » .

وقال ابن حجر الهيثمي « جعفر الصادق نقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان ، وانتشر به صيته في جميع البلدان ، وروى عنه الأئمة الأكابر كيحيى بن سعيد وابن جريح ومالك والسفانيين وأبو حنيفة وشعبة وأيوب السجستاني » .

وقال السويدي في سبائك الذهب: «جعفر الصادق كان من بين أخوته خليفة أبيه و وصيه، نقل عنه من العلوم ما لم ينقل عن غيره » .

ويقول عنه عبد الله بن مبارك :

أنت يا جعفر فوق المدح والمدح عناء
جاز حدُّ المدح من قد ولدته الأنبياء

ويقول عنه ، العلامة الشبلنجي في كتابه (نور الأبصار) :

« ومناقبه كثيرة تكاد تفوت عد الحاسب ، ويحار في انواعها فهم اليقظ الكاتب » .

ولقد نصّ عليه أبوه محمد بن علي بن الحسين (الباقر) (عليه السلام) بالإمامة في أكثر من حديث وأكثر من مورد ، منها رواية محمد بن مسلم ، حيث قال :

كنت عند أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) ، اذ دخل جعفر ابنه ، وعلى رأسه ذؤابة ، وفي يده عصاً يلعب بها ، فأخذه الباقر (عليه السلام) ، وضمّه إليه ضمّاً ، ثم قال : بأبي أنت وأمّي لا تلهو ولا تلعب .

ثم قال : يا محمد هذا امامك بعدي فاقتد به ، واقتبس من علمه ، والله انه لهو الصادق الذي وصفه لنا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، إن شيعته منصورون في الدنيا وفي الآخرة ، واعداؤه ملعونون على لسان كل نبي ، فضحك جعفر واحمرّ وجهه ، فالتفت اليّ أبو جعفر وقال لي : سله ، قلت له : يابن رسول الله ، من أين الضحك؟

قال يا محمد ، العقل من القلب ، والحزن من الكبد ، والنّفس من الرية ، والضحك من الطحال ، فقمت وقبّلت رأسه .

وأخيراً ـ وقبل أن نختم صفحة التعريف بالإمام (عليه السلام) رأيت مناسباً أن أذكر القصيدة التي نظمها الأخ العلّامة الخطيب المجاهد السيد مرتضى القزويني سنة ١٣٨٤ هـ وألقيت في حشد كبير من الجماهير العراقية التي حضرت احتفالاً بمناسبة ذكرى ولادة الامام الصادق (عليه السلام) في مدينة كربلاء المقدسة .

أرى الشعر لا يرقى إليك ولا النثرُ　　فمجدُك بحرٌ لا يساجله بَحرُ

فما رأت الدنيا ولا سمعت بها — اماماً سمت فيه العقيدة والفكر
كمثلك يا كنز الفضائل والهدى — ومعجزة التاريخ فيك له فخرُ
ويا عبقرياً قادَ أعظَمَ أمَّةٍ — بمدرسةِ التوحيد رائدهُ الصبر
ويا قائد الأبرار يا ملهم التُّقىٰ — ومحيي كنوزٍ كان يحجبها الستر
دفعت لرواد المعارف مشعلاً — يشعُّ ضياءً ليس يخمده الدهر !!
وابدعت للأجيال فكراً محرَّراً — أجل كلُّ فكرٍ يُستقىٰ منكم حُرُّ
وصغتَ أصولاً للحقيقةِ فالذي — لديكَ لبابٌ والذي دونه قشرُ
ورُحتَ تنير الدروبَ غير مداهنٍ — لمستعبدٍ يطغى ونائبة تعرو
فيا سيّدي ذكراك تبعث قوةً — بها نستعيد النصرَ ما خلدُ النصرُ

* * *

الا فلتعش يا جعفر بن محمد — عظيماً وعاشت فيك آثارك الغرُّ
وعاشت صروحٌ أنت باني أصولها — وأسعِدَ شعبٌ أنت قائدهُ البرُّ
ومدرسة فكرية قد فتحتها — ليرتادها الأحرار ما بقي الدهر
فعلمك (مزبورٌ) لديك و(غابرٌ) — وإن هو (نكتٌ) في فؤادك أو (نقر)
وعندك يا مولاي مصحفُ فاطمٍ — حوىٰ كل ما تبلى وعندكم الجفرُ
فأنت منارٌ للفضيلةِ والهدى — وشامخ فضل ليس يرقىٰ له النسرُ
عليم حليم صابرٌ متبتّلٌ — كريم شجاع عابد زاهد حَبْرُ
فقيه تلوذ العالمون بفقهه — امام له في كل طائفةٍ قدرُ
هنيئاً لاقوامٍ إليك توافدوا — وخاب اناسٌ عن مناهجك ازورّا
سل الفقه والتاريخ والطب واللغا — وسل عنه اعلاماً لمنهله اجترّوا
امام حوى علم الكتاب وحكمِهِ — وألهِمَ ما قد ضمَّهُ البحر والبرُّ
ألوفٌ من الأقطاب تروي حديثه — فيسمو به قطبٌ ويحظى به قطرُ

احاديثُ لم يُتحف بها النـاس قبله ... كنـوزٌ ثِقـالٌ كـان يملؤهـا الـدرُّ

بـه خصّها الـرحمن من دون خلقه ... لكي يعرف التاريخ ما التبن والتبـر

ومنه استقى الاعلامُ جـوهَر علمِـهِ ... كمـالـك والنعمـان غيـرهمـا كُثـرُ

هشامٌ ، ابان ، جابر، وابن مسلم ... زرارة، حـمـران، وكلهـم بحـر

نجوم سماء الفضل والعلم والهدى ... بهم اشرق الظلماء وازدهر العصـرُ

* * *

فيـا بؤس قـوم كـابـروك ليـطفئـوا ... ضيـاءك حقـداً كـان مبعثـه الكِبـرُ

أَبَوْ رشفةً من منهـل الصدق عـذبةً ... وصدوا عطاشاً كان منهم لكم نفـر

فكم منعوا الأعصارَ من فيضِ علمكم ... وكم منحوكم ما به الجهل والخسرُ

وقـد اعلنـوا حـربـاً عـوا: أ عليكم ... ليحيـوا بها (بـدراً) إذا فاتهم بـدرُ

فـجـدهـم إذ ذاك أُطـلقَ اسـرُه ... ومن ولـده وافـاكم القتـلُ والأسـرُ

بَنَوا عرشهم بالغدر فـوق عظامكم ... وخابت عهودٌ كان من بعدها الغدر

* * *

قضىٰ عمـره شـطراً بعهـد اميـةٍ ... يـلاحقـه منهـا العـداوة والقهـر

فيسمـع دوماً منهم سب جـدِّهِ ... ومصـرَعُ زيـدٍ عمـهِ منهم أجْـرُ

وجاء بنو العباس يحذون حـذوهم ... وزادوا كـاعـداءٍ لهم عنـدهم ثـأرُ

غـداة دعـا السفـاح جعفـر عنـده ... وقـد نـالـه منه المكـاره والضـرُّ

وجـرعـه المنصـور ظلمـاً ومحنـةً ... وعاداه حتّى ضاق من بغيـهِ الصّدرُ

ودسَّ إليـه السمَّ واغتـالـه بـه ... وكم قبله أو بعـده عنـدهم وتـر

فمـا بين مقتـولٍ وبيـن مشـردٍ ... وبين أسيـرٍ لا يُفـكُّ لـه أسـرُ

فمن مبلغٌ عـنّي رسـالـةَ مشفـقٍ ... لمن لهم التـدبيـر والنهي والأمـر

إذا شئتم ان تستـفيـق شعـوبكم ... ويصلح منهـا وضعها التعِسُ المـرُّ

وتستبـدلـوهـا عـزةً بعـد ذُلِّهـا ويرفع عنها الجهل والبؤس والفقـر
فعودوا الى الاسلام في ظلِّ جعفرٍ تعُـد لكُم منـهُ السيـادة والنصـر
واحيوا تُراثاً قد حباه محمدٌ (ص) لعترتـه من بعـد مـا نـزل الـذكـر

* * *

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُم فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾

الأحزاب (٢١)

السِّيرة المعطاة

إن السيرة تعني السلوك الفردي ونمط العيش وطريقة الحياة ، وبيت القصيد في هذا الكتاب ، ومحور الكتابة هنا هي هذه الصفحة المشرقة ، والعنفوان الحضاري من حياة أئمة الهدى (عليهم الصلاة والسلام) وبخاصة الامام الصادق (عليه السلام) .

وانني منذ أن عزمت على الكتابة عن الإمام الصادق أحاول جاهداً أن أركّز على الجوانب الأخلاقية وصور التأسي برسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) في سيرته الكريمة المباركة .

والمتتبع لحياة أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يواجه بحراً زاخراً من المثل العليا والقيم النبيلة ، والمعايير الأخلاقية الفاضلة في كل مناحي حياتهم المعطاء ، ولا غرو في ذلك ، فهم فروع تلك الشجرة الطيبة ، واغصانها الزاكية ، ومن أولى منهم واجدر في اتخاذ الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) أسوة حسنة ، فهم لحمته وسلالته وهم امتداد لخطّه الرسالي القويم .

وانني إذ أنقل للقارىء الكريم ، هذه اللقطات السريعة ، والصور الناصعة من سيرة الامام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) ، تغمرني الحسرة والأسى وينتابني حزن عميق ، على ما

فات المسلمين وما خسروه نتيجة لتجاهلهم لمثل هذا الامام العظيم ، وتضييعهم له ولأمثاله من أئمة أهل البيت .

كان مثلهم كمثل الذي يعمي بصره عن الرياض النضرة ، ويحبس أنفاسه عن الهواء الطلق ، ثم يحشر نفسه في زاوية نتنة ويجتمع على جيفة .

فلتكن غلطة السالفين عبرة لنا ، ولنحذّر العثرات التي تعثروا بها ، ولنزيل عن طريقنا كل العقبات التي تحول بيننا وبين الصادق (عليه السلام) . ولتكن المعاملة التي عومل بها الأئمة (عليهم السلام) من قبل الناس ، طيلة القرون الحالكة السالفة ، عبرة ودرساً لنا . . .

لنتخذ من الامام الصادق (عليه السلام) نموذجاً يحتذى به ، ويقتدى بسيرته الكريمة الزاهرة ، لنتعلم منه كل المثل ، وكل القيم ، ففي رحابه كلّ الخير ، وحياته كلها عطاء .

ولنبدأ أولاً بالأساس الذي يركز عليه الصادق (عليه الصلاة والسلام) في تزكية النفس وتنمية الأخلاق الفاضلة ، انه يبدأ سلباً أولاً فيزيح عن طريق النفس عوامل الفتنة وأسباب السقوط ، ليحل محلها الأخلاق والقيم والسلوك الحسن .

التحذير من الدنيا

وأهمّ عوامل الفتنة ودواعي الانهيار هو الركون للدنيا والانبهار بها فلو انحاز إليها قلب المرء وتعلق بها ، فلا يُرجىٰ له ان يفكر في

اصلاح نفسه، فقد قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : « حبّ الدنيا رأس كل خطيئة » .

ويأتي الإمام الصادق (عليه السلام) ، ليضيف كلاماً عذباً ، وقولاً رصيناً الى أحاديث جدّه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، فيقول :

« إن هذه الدنيا وإن امتعت ببهجتها ، وغرت بزبرجها ، فان آخرها لا يعدو أن يكون كآخر الربيع ، الذي يروق بخضرته ثم يهيج عند انتهاء مدّته ، وعلى من نصح لنفسه ، وعرف ما عليه ، وله أن ينظر إليها نظر من عقل عن ربّه جلّ وعلا ، وحذر سوء منقلبه ، فان هذه الدنيا خدعت قوماً فارقوها أسرع ما كانوا إليها ، واكثر ما كانوا اغتباطاً بها ، طرفتهم آجالهم بياتاً وهم نائمون أو ضحى وهم يلعبون ، فكيف اخرجوا عنها ، والى ما صاروا بعدها ، اعقبتهم الامم وأورثتهم الندم ، وجرعتهم مرّ المذاق ، وغصصتهم بكأس الفراق .

فيا ويحَ من رضي عنها ، أو أقرّ عيناً ، أما رأى مصرع آبائه ، ومن سلف من أعدائه وأوليائه ، اطول بها حيرة ، وأقبح بها كرة واخسر بها صفقة وأكبر بها ترحة[1] ، إذ عاين المغرور بها اجله ، وقطع بالاماني امله ، وليعمل على انه اعطى اطول الاعمار وامدّها ، وبلغ فيها جميع الآمال ، هل قصاراه الا[2] الهرم ، وغايته الاّ

(١) الحزن والهم .
(٢) القصر بالسكون والقصار بالفتح والضم والقصارى بالضم : الجهد والغاية .

الوخم[1] .

نسأل الله لنا ولك عملاً صالحاً بطاعته ، ومآباً الى رحمته ، ونزوعاً عن معصيته ، وبصيرة في حقه ، فانما ذلك له وبه » .

ولم يقتصر الامام (عليه السلام) على هذه المقطوعة في ذمّ الدنيا والدعوة للزهادة فيها ، بل له في هذا المضمار ، تركيز قولي ، واهتمام عملي يضيف بهما الى سجلّ آل البيت (عليهم الصلاة والسلام)، مجموعة من العبارات البليغة ، في صرف الأنظار عن الدنيا وما يدور في فلكها من البهارج والزبارج ، كما فعل ذلك أئمة آل البيت (عليهم السلام) كلهم . وللإمام أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) ـ في هذا الإطار ـ خطب وكلمات خالدة يملأ صداها الآفاق وتدوي في سماء التاريخ .

الرضا والتسليم لله

من العوامل النفسية التي تبعث الراحة والاطمئنان في كيان كل أحد : حالة الرضى بما كتب الله والتسليم لما قدَّر ، فالمرء لا يملك شيئاً أمام مقدرات السماء ، فليرض بها ولا يعترض وليسلم أمره الى الله (تعالى) فيختار عن طوع ورغبة ما اختار الله له . ﴿وَرَبُّكَ يَخلقُ مَا يَشاءُ وَيختارُ ما كانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ . . .﴾[2] ﴿وَمَا كانَ لِمُؤمِنٍ ولا مُؤْمِنَةٍ إذا قَضىٰ الله وَرَسُولُهُ امراً أنْ يَكُون لهم الخِيَرَةُ من أمْرِهِم ومن يعصِ الله وَرَسُولَهُ فقد ضلَّ ضَلالاً مُبيناً﴾[3] .

---

(١) الوخم : بالفتح مصدر : داء كالباسور ، تعفن الهواء المورث للأمراض ويستعار للضرر .

(٢) القصص ٦٨ .

(٣) الأحزاب ٣٦ .

ولقد كان الصادق (عليه السلام) آيةً في الرضى بما قسم الله ، وعدم الاعتراض على ما تقتضيه الحكم الربانية ، والمصالح السماوية ، فهو يرضخ لقانون القضاء والقدر ، ويسلم لهما ، كما يرضخ لكل قوانين السماء .

عن موسى بن جعفر (عليه السلام) ، قال : نُعِيَ الى الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) ابنه اسماعيل بن جعفر ، وهو أكبر أولاده ، وهو يريد أن يأكل ، وقد اجتمع أصحابه ، فتبسّم ثم دعا بطعامه ، وقعد مع ندمائه ، وجعل يأكل أحسن من أكله سائر الأيام ، ويحثّ ندماءه ، ويضع بين أيديهم ، ويعجبون منه ان لا يروا للحزن أثراً ، فلما فرغ قالوا :

يا ابن رسول الله ، لقد رأينا عجباً ، أُصبتَ بمثل هذا الابن وانت كما نرىٰ ، قال : « وما لي لا أكون كما ترون ، وقد جاءني خبر اصدق الصادقين ، اني ميتٌ وإياكم ، ان قوماً عرفوا الموت فجعلوه نصب اعينهم ، ولم ينكروا من تخطّفهُ الموت منهم ، وسلموا لأمر خالقهم عزّ وجلّ » .

وفي خبر آخر ، نقل عنه أرباب التاريخ ان ابناً له (عليه السلام) بينا هو يمشي بين يديه اذ غصَّ فمات ، فبكى وقال : « لئن اخذت لقد ابقيت ، ولئن ابتليت لقد عافيت» .

ثم حُمل الى النساء ، فلما رأينه صرخن ، فأقسم عليهنّ أن لا يصرخن فلما أخرجه للدفن قال : « سبحان من يقتل أولادنا ، ولا نزداد له الا حُبّا » فلما دفنه قال : « يا بني وسع الله في ضريحك ، وجمع بينك وبين نبيّك » وقال (عليه السلام) : « إنّا قوم نسأل الله

مـا نحب فيمن نحب فيعـطينـا ، فـإذا أحبَّ مـا نكـره فيمن نحبُّ رضينا » .

هنـا بكاء لأنـه عزيـزه وقـد بكى رسـول الله (صلّى الله عليـه وآلـه وسلم) على ولــده إبـراهيم ولكن من غيـر اعتـراض !

ورضــا وتسليم لأنهما خلقان عظيم !

وشكر على المصيبة لأنه عبادة !

ثم بيــانٌ لفلسفـة هــذا التصبـر وتــوجيـهٌ لكــل هـذا الـرضـوخ والاستسلام !

وَيَصُـوغُ حـالتـه هـذه شعـراً جيـداً عـذبـاً فيقـول (عليـه الصــلاة والسلام) :

لا اليسـرُ يُفـرِحنـا يَـومـاً فَيُبْطِرُنا	ولا لِأزمـةِ دهـرٍ نُـظهِـرُ الْجَـزَعـا
إن سَرَّنا الـدهر لم نَبْهَـجْ لصحبتِهِ	أو ساءنا الدهرُ لم نُظهر لـه الهَلَعا
مثـل النجـوم على مضمــار أولنـا	اذا تـغيـبَ نجـم آخــر ، طـلعـا

وتروى عن قتيبـة الأعشىٰ حكــايـة يـرويهـا عن الصــادق (عليـه السـلام) تجتمع فيهـا عظاتٍ عـديدة ، أهمهـا تسليمـه لأمـر الله ورضـاه بما قدر ، ولها أبعاد أخرى لا تقلّ أهميّة عن تلك .

يقول : أتيتُ أبا عبد الله (عليه السـلام) أعود ابنـاً له ، فـوجدتـه على البــاب ، فـاذا هــو مُهتَمٌّ حـزين فقلت : جُعلت فـداك ، كيـف الصبي ؟ فقـال : والله انه لمـا به ، ثم دخـل فمكث سـاعـة ، ثم خـرج إلينا وقد أسفـر وجهُهُ ، وذهب التغيّـر والحزن . قـال الأعشى : فطمعت أن يكــون قــد صَلُح الصبي ، فقلت : كيـف الصـبي جـعلتُ فــداك ؟

فقال : لقد مضى لسبيله ، فقلت : جُعلت فداك لقد كنتَ وهو حيّ مُهتمّاً حزيناً وقد رأيتُ حالَكَ الساعةَ ، وقد مات ، غير تلك الحال ، فكيف هذا ؟ فقال : « انّا أهل بيتٍ إنما نجزع قبل المصيبة ، فاذا وقع أمر الله رضينا بقضائه ، وسلّمنا لأمره » .

فالجزع أولاً قبل وقوع المصيبة ، والاهتمام بها لدفعها ، فالمؤمن لا ينبغي أن يكون اتكالياً كسولاً في حياته ، وبخاصة عندما يتعرض لخطر أو مصيبة ، عليه أن يحاول جاهداً لدفعها وردّها ، بكل الوسائل المشروعة آخذاً في نظر الاعتبار انه وما يصيبه بعين الله ، يرعاهُ ويكلؤه ، فلو كانت له بارقة أمل في دفع المحنة لوجب عليه دفعها وفي الوقت نفسهِ لو باءت محاولاته بالفشل لا يظهر الجزع ولا يعترض على الله بل يلبس لباس الرضى والتسليم كما فعل الصادق (عليه السلام) . فسلام الله عليك أيها العالم العامل ، اذ تحاول أن تلقي درساً في الأخلاق الفاضلة ، حتى من خلال ما تنزل بك من محن وأهوال .

وذكر أيضاً ، أن سفيان الثوري دخل على الصادق (عليه السلام) فرآه متغير اللون فسأله عن ذلك ، فقال : « كنتُ نهيتُ أن يصعدوا فوق البيت ، فدخلت فإذا جارية من جواريّ ممن تُربّي بعض ولدي قد صعدت في سُلّمٍ والصبي معها ، فلما بصُرت بي ارتعدت وتحيّرت وسقط الصبي الى الأرض فمات ، فما تغيّر لوني لموت الصبي ، وانما تغيّر لوني لِما ادخلت عليها من الرعب » .

ثم التفت الى الجارية وقال لها : يا جارية ، انت حرّةٌ لوجه الله ، لا بأس عليك قالها مرّتين !

وكان من أخلاقه التواضع

فالتواضع صفة ملازمة للايمان ، ولا يمكن الفصل بينهما ، واحرى الناس بالتواضع رجال الدين وحملة العلم ، ممن يتتبعون خُطى الأئمة من أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) ، فقد كانوا غاية في التواضع للناس رغم العظمة التي منحتهم السماء ، أما التكبر فهي الصفة المذمومة التي طُردَ بها ابليسُ من الجنة ، ولا يَتكبّرُ الا فاسق .

يقول ضرار بن ضمرة عن أمير المؤمنين (عليه السلام) : « وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ، وينبئنا إذا استنبأناه ، ونحن مع تقريبه إيانا وقربه منّا ، لا نكاد نكلّمه لهيبته ، ولا نبتدؤه لعظمته . . . » .

كان يفترش الأرض ، وينام تحت الشجر في الطريق ، ولا يرى لنفسه فضلاً على أحد يعظّم أهل الدين ويحبّ المساكين ويجالس المستضعفين والمحرومين ، وكذلك الحال بالنسبة لسائر الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) وكيف لا يكونوا كذلك وقد أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا ، والتكبر رجس ودنس وهم :

مطهرون نقيات ثيابهم   تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا

ولنقف مع الصادق (عليه السلام) ، لنرى مفهوم التواضع عنده ولنجد كيف أن السماء تنحني اجلالاً لتواضعه وشرفه .

فهو يرى ان التواضع للإنسان هو خير بل لا يصيبُ المتواضع في حياته الاّ خيراً ، لأنها حالة يحبها الله والناس . فيقول (عليه

الصلاة والسلام) : « ثلاثة لا يصيبون الا خيراً : اولوا الصمت ، وتاركوا الشر ، والمكثرون ذكر الله عز وجلّ ، ورأس الحزم التواضع ، فقال له بعضهم : وما التواضع ؟ فقال (عليه السلام) : أن ترضى من المجلس بدون شرفك ، وان تسلم على من لقيت ، وان تترك المراء وان كنت محقاً » . ويرى أيضاً أن : « لا تكتمل هيبة الشريف الا بالتواضع » .

ومن تواضعه (عليه‌السلام) واحسانه الى الناس عامة ان رجلاً من الحاج نام في المدينة ، فتوهم أن هميانه قد سُرق فخرج فرأى جعفر الصادق (عليه السلام) مصلّياً ولم يعرفه ، فتعلّق به وقال له : أنت أخذت همياني ، فسأله الإمام ، ما كان فيه ؟ قال : ألف دينار ! فحمله الامام الى داره ووزن له ألف دينار وعاد الرجل الى منزله ووجد هميانه ، فعاد الى جعفر (عليه السلام) معتذراً بالمال ، فأبى الامام قبوله وقال : شيءٌ خرج من يدي ، لا يعود إليّ . فسأل الرجل عنه فقيل : هذا جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) فقال الرجل : لا جَرَم هذا فِعال مثله .

ومن تواضعه ما رواه العلاّمة المجلسي في البحار عن يعقوب السراج ، قال : كنّا نمشي مع أبي عبد الله ، وهو يريد أن يعزّي ذا قرابة له بمولود له ، فانقطع شسع نعل أبي عبد الله ، فتناول نعله من رجله ثم مشىٰ حافياً ، فنظر إليه ابن أبي يعفور فخلع نعل نفسه من رجله وخلع الشسع منها وناولها أبا عبد الله (عليه السلام) فأعرض عنه كهيئةِ المغضب ، ثم أبى أن يقبله . وقال : لا ، إن صاحب المصيبة أولى بالصبر عليها ، فمشىٰ حافياً حتى دخل على الرجل الذي أتاه ليعزّيه .

ليتعلّم الناس من الامام . . .

فليقتدي أصحاب النفوس الضعيفة بالامام .

انّ السموّ في التواضع ، وأسباب الرفعة مجتمعة كلها في التواضع . إن خير ما يقوم به الكبير استصغار نفسه ، وشرّ ما يفعله الصغير استكبار نفسه .

إن الذين لو ملكوا أسباب العزّة واقبلت إليهم الدنيا ، اغترّوا بها وطغوا وتكبّروا لهم ضعفاء النفوس وصغار العقول والا فالذي يتتلمذ في مدرسة جعفر بن محمد (عليه السلام) وينهل من معينه ، لا ينبغي أن ينسى نفسه ، ولا أن تغرّه السفاسف وتبطره الأيام .

عن أبي بصير قال : دخل أبو عبد الله (عليه السلام) الحمام ، فقال له صاحب الحمّام : اخليه لك ؟ فقال : لا حاجة لي في ذلك ، المؤمن اخفُّ من ذلك ! !

أجل ، المؤمن اخف من ان يُتكلف له ويُسخِّر الناسَ لخدمته .

وبعث الإمام (عليه السلام) مرّة غلاماً له في حاجة ، فأبطأ ، فخرج الامام على أثره لمّا أبطأ ، فوجده نائماً ، فجلس عند رأسه يروّحه حتى انتبه ، فلما انتبه قال له أبو عبد الله (عليه السلام) : يا فلان ، والله ما ذلك لك ، تنام الليل والنهار؟ لك الليل ، ولنا منك النهار .

ويغضب (عليه السلام) لو عُومِل بمثل معاملة الملوك والأباطرة والسلاطين ! أو نودي عليه بأكثر مما هو المطلوب ! لا يحبُّ أن يعظمه أحد بشكل لا يليق به !

قال بعض أصحابه : خرج إلينا أبو عبد الله وهو مغضب فقال : انّي خرجتُ آنفاً ، فتعرض لي بعض سودان المدينة فهتف بي : لبّيك يا جعفر بن محمد فرجعت عودي إلى بدئي الى منزلي خائفاً ذعراً مما قال ، حتى سجدت في مسجدي لربّي ، وعَفَّرت له وجهي ، وذللت له نفسي ، وبرئت إليه مما هتف بي ، ولو أن عيسى بن مريم عدا ما قال الله فيه إذاً لصُمَّ صمّاً لا يسمع بعده أبداً ، وَعَمِيَ عَمَىً لا يبصُر بعده أبداً ، وخرس خرساً لا يتكلَّم بعده أبداً .

وكان زاهداً

يكتفي باليسير من الطعام وبالخشن من اللباس ، كما هي السنّة في آل البيت عامة فلقد صاروا مثلاً في التاريخ للزهد والقناعة ودونك ما سطره التاريخ عن عليّ (عليه السلام) وقوله المشهور : « الا ان امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ومن طعمه بقرصيه » . وامهم الزهراء ، سيّدة النساء (عليها السلام) ، تخلع ليلة زفافها ثوب العرس فتتصدّق به وتلبس ثوبها الخلق القديم . . .

أمّا عن الصادق (عليه السلام) ، فيقول الراوي : رأيت أبا عبد الله وعليه قميص غليظ خشن تحت ثيابه ، وفوقه جبّة صوف ، وفوقها قميص غليظ . فمسستها فقلت : جعلت فداك ، ان الناس يكرهون لباس الصوف ، فقال : كلّا ، كان أبي محمد بن عليّ (عليهما السلام) يلبسها ، وكان عليّ بن الحسين (صلوات الله عليه) يلبسها ، وكانوا يلبسون أغلظ ثيابهم إذا قاموا الى الصلاة ، ونحن نفعل ذلك .

وكـان يلبس الثيـاب المـرقعـة كمـا كـان يفعـل سلفـه الصـالـح (صلوات الله عليهم جميعـاً) . قـال الـراوي : دخـل عليـه بـعض أصحابه فـرأى عليه قميصـاً فيه قبّ[1] قـد رقعه ، فجعـل ينظر إليـه فقال لـه أبو عبـد الله(عليـه السـلام) : مـا لـك تنـظر ؟ فقـال : قبٌّ يلقى في قميصـك ؟ فقال (عليـه السلام) : اضـرب يدك الى هـذا الكتاب فـاقرأ فيه وكان بين يديه كتاب أو قريب منه ، فنظر الرجل فيه فاذا فيه :

لا إيمـان لمن لا حيـاء لـه ، ولا مـال لمن لا تقـديـر لـه ، ولا جديد لمن لا خلق له .

معاهدة الفقراء والمساكين

(كاد الفقر أن يكون كفراً) ، (لو كان الفقر رجلاً لقتلته) .

هـاتـان العبـارتـان تُنقلان عن أميـر المؤمنين عليّ بن أبي طـالب (عليـه السـلام)وهمـا ينبئـان عن مـدى اهتمـام الأئمـة عليهم السـلام بمشـروع القضاء على الفقـر وقلع جـذوره من أوسـاط المجتمـع ، فقـد عملوا ـ بمثابرة ـ في سبيـل تحقيق هذا الهـدف العظيم ، وحـاولوا كثيـراً على طريق اغناء النـاس وازاحة كـابوس الفقـر عن صدور الفقـراء . وان ما حصل من ازدهار اقتصادي لـلأمة الاسـلامية بعـد الصدر الأول فهـو ـ في الحقيقـة ـ يرجـع أكثر الفضـل فيه لأئمـة أهل البيت (عليهم الصـلاة والسـلام) ، فـالمتتبـع للتـاريـخ بعمق وانصـاف ، يـلاحظ أن الأئمّـة

---

(١) القبّ : ما يدخل في جيب القميص من الرقاع .

(عليهم السلام) سعوا كثيراً وباتجاهات شتّى للقضاء على الحاجة والعوز واحلال الغنىٰ في الأوساط الاجتماعية في بلاد الاسلام من قبيل التشجيع على العمل والتجارة وتقديم المساعدات المادية والمعنوية لأهل الحاجة من عامة الناس لسدّ الحاجة فيهم واستحصال الحقوق الشرعية ثم تفريقها بين المحتاجين والفقراء . . وغير ذلك .

أما الخلفاء والسلاطين فقد كانوا مشغولين بما هو أهم من الناس ! وأهمّ من مستقبل الإسلام والمسلمين ! انهم كانوا يترحون ويمرحون ، هادرين أغلى فرصِ الحياة وأثمنها في اللهو واللعب ، كان همّهم الوحيد ، وشغلهم الشاغل ، الحفاظ على عروشهم وكراسيهم ، ولم يشذ عن هذه الصِبغة العامة لهم الا القليل القليل منهم .

والفضل في ازدهار الاسلام وانتشاره وتحسين بعض الأحوال المعاشية والنهضة العلمية وكل ما حصل من خير للأمّة ـ انّما يعود الى علماء الامة ورجالها وفي مقدمتهم أئمة آل البيت (عليهم السلام) الذين نذروا أنفسهم لخدمة الناس وكرّسوا حياتهم في هذا السبيل .

ولكن العامة ، والسواد المخترم من الناس ، تغيب عنهم هذه الحقائق نتيجة للتعتيم الإعلامي الذي مارسته السياسيات الحاكمة الغاشمة التي طالما حكمت بلاد الاسلام وساست المسلمين والتي تميّزت بعدائها الشديد لآل البيت (عليهم السلام) فبخسوهم حقوقهم ، وجفوهم ، واخفوا معالمهم ، وتستّروا على محاسنهم .

ونعود فنقول : ان الأئمة من أهل البيت عامة والصادق (عليه

السلام) خاصة لم يقدموا العون للفقير والمساعدة للمحتاج فحسب ، بل عملوا وخططوا في اتجاه صحيح بحيث تُجَتَثّ جذور العوز والحاجة من المجتمع الاسلامي رويداً رويداً فوضعوا أسساً للاستغناء المشروع ، وحاربوا الفقر ، وعملوا جاهدين للوصول بالأمة الإسلامية الى برّ الغنى والسعادة ، رائدهم في ذلك القرآن الكريم ونبيّ الإسلام (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، فالقرآن الكريم يرى الفقر حالةً من السقوط والانهيار بالنسبة للمجتمع ، وان المجتمع الفقير يعيش وضعاً غير طبيعي فيفرض العبادة بعد أن يمنحهم حالة الاستغناء والأمن ، فيقول عزّ من قائل : **﴿فليعبدوا ربّ هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾**[1] فهو يريد العبادة مقابل الغنى والأمن ، يريد الطاعة ممن اشبع بطونهم الخاوية وهدأ روعهم .. هكذا .. يخاطب الماديين بلغتهم ، بل هذا هو الواقع لأن الذي يعتصره الجوع وينام اطفاله على بطون خاوية ، ويصبح على همٍّ املاء الأفواه الفاغرة كيف يتسنّى له أن يلتزم بقواعد الدين وأحكام الاسلام ؟ يقول الامام (عليه السلام) : « من لا معاش له لا معاد له » .

أجل ، لا معاد له ، بل ولا كرامة له في الحياة الدنيا ، لأن « الكرامة الاجتماعية لا تتأتّى الا بتحقيق الكرامة الاقتصادية »[2] .

انطلاقاً من هذه الاسس الاسلامية المتينة ، نهض الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) بمسؤولية حماية الفقير ومعاهدة

---

(١) قريش ٤ .

(٢) عبارة مأثورة عن احد مراجعنا المعاصرين حفظهم الله جميعاً .

المضطرين من الناس ومساعدة المعوزين منهم ، وكانوا يأمرون أصحابهم وأشياعهم بمواساتهم وتخفيف العبىء عنهم وسيأتي في باب الأخلاق تفصيل ذلك انشاء الله ، وهنا نلقي نظرة عاجلة على سلوك الصادق (عليه السلام) مع هؤلاء المحتاجين وكيف كان (عليه الصلاة والسلام) يخرج بنفسه ليلاً ونهاراً يتفقّد أحوالهم ويواصلهم ويعطف عليهم حتّى يصيرَ قدوة للآخرين .

قال أبو جعفر الخثعمي : أعطاني الصادق (عليه السلام) صرّةً فقال لي : ادفعها الى رجل من بني هاشم ، ولا تُعلمه اني اعطيتك شيئاً . قال : فأتيت الرجل وأعطيته الصرّة فقال : جزاك الله خيراً ، ما تزال كل حين تعطينا وتسعفنا ، ولكني لا يصلني جعفر بدرهم في كثرة ماله .

وكانت صِلات الإمام تصله من غير أن يعرف انها من الإمام . لأنّه (عليه السلام) كان يتصدّق سرّاً ليحفظ للفقير ماء وجهه ولتكون أقرب إلى مرضاة الله عزّ وجلّ .

يقول المعلّى بن خنيس : خرج أبو عبد الله (عليه السلام) في ليلة قد رشّت السماء ، وهو يريد ظلة بني ساعدة ، فاتبعته فاذا هو قد سقط منه شيء ، فقال : بسم الله اللهمّ ردّه علينا ، قال : فأتيته وسلّمت عليه فقال : معلى ؟ قلت : نعم جعلت فداك ، فقال : التمس بيدك فما وجدت من شيء فادفعه اليّ ، قال : فاذا أنا بخبز منتشر ، فجعلت ادفع إليه ما وجدت ، فاذا أنا بجراب من خبز فقلت : جعلت فداك احمله عليَّ عنك ، فقال : لا ، أنا أولىٰ به منك ، ولكن امض معي ، قال : فأتينا ظلّة بني ساعدة ، فاذا نحن

بقوم نيام فجعل يدس الرغيف والرغيفين تحت ثوب كل واحد منهم حتى اتى على آخرهم ثم انصرفنا ، فقلت : جعلت فداك يعرف هؤلاء الحق ؟ فقال : لو عرفوا لواسيناهم بالدقة .

وفي كتاب الحلية : ان الصادق (عليه السلام) ، كان يعطي الفقراء والمعوزين ويطعمهم حتّى لا يبقي لعياله شيء .

ومن كرم اخلاقه (عليه الصلاة والسلام) أنه لم يكن يميز في العطاء والإحسان بين من يواليه أو يعاديه فقد كان عطاؤه كعطاء السماء يسقي البر والفاجر والمؤمن والكافر ، كذلك الامام الصادق (عليه السلام) كان يعطي من لا يعرف له حقاً يعطي من يقابل إحسانه بالإساءة وحبّه وعطفه بالبغض والكراهية .

كان يبسط رداءه وفيه صرر الدنانير ، فيقول للرسول : اذهب بها الى فلان بن فلان ، ـ من أهل بيته وبني عمومته ـ وقل لهم : هذه بُعثَ بها اليكم من العراق . فكان الرسول يذهب بها إليهم ويقول لهم ما قاله (عليه السلام) ، فيقولون : أما أنت فجزاك الله خيراً بصلتك قرابة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، وأما جعفر فحكم الله بيننا وبينه ، فإذا سمع أبو عبد الله (عليه السلام) مقالتهم خرَّ ساجداً ويقول : اللهم اذلَّ رقبتي لولد أبي .

وعن جهم بن أبي جهم عن معتب ، قال : كانت أسعار الحنطة قد ارتفعت في المدينة ، فقال لي أبو عبد الله : كم عندنا من طعام ؟ قلت : عندنا ما يكفينا اشهر كثيرة قال : اخرجه وبعه !!

قلت : وليس بالمدينة طعام .

قال : بعه .

فلمّـا بعته قـال : اشتر مـع الناس يـومـاً بيـوم وقـال : يـا معتب ، اجعل قوت عيـالي نصفاً شعيـراً ونصفاً حنـطة ، فان الله يعلم اني واجـد ان اطعمهم الحنـطة على وجههـا ، ولكنّي احـب أن يـراني الله وقـد احسنت تقدير المعيشة .

ويصنّف العطاء درجتين ، فمنه : المعـروف وهو الـذي يصل قبـل السؤال ومنـه : المكـافـأة ، وهـو الـذي يعـطىٰ بعـد السؤال واراقـة مـاء الـوجه ويفضـل الصادق (عليـه السلام) أن يكـون العطاء معـروفاً ، فلو تـركت السائـل أن يسأل فـانك تكـافؤه حينئذٍ على مـا بـذل لـك من مـاء وجهه .

ففي البحـار عن اسحاق بن إبـراهيم بن يعقـوب قـال : كنت عنـد أبي عبـد الله الصـادق (عليـه السـلام) ، وعنـده المعلى بن خنيس ، اذ دخـل عليه رجـل من اهل خـراسان . فقـال : يابن رسـول الله ، أنـا من مـواليكم أهل البيت ، وبيني وبينكم شقـة بعيدة ، وقـد قلَّ ذات يـدي ، ولا أقـدر أن أتـوجّـه إلى أهلي إلا أن تعينني قـال : فنـظر أبـو عبـد الله عليه السلام : يميناً وشمالاً وقال : الا تسمعون ما يقول أخوكم ؟

انّمـا المعروف ابتـداءً ، فأمـا ما أعـطيت بعـدمـا سـأل فـانمـا هـو مكافأة لما بذل لك من ماء الوجه .

ثم قـال : فيبيت ليلتـه متـأرقـاً متملمـلاً بين اليـأس والـرجـاء ، لا يـدري أين يتوجـه بحاجتـه ، فيعـزم على القصـد إليـك ، فـأتـاك وقلبـه يجبُّ[1] وفـرائصه تـرتعـد ، وقـد نـزل الـدم في وجهـه ، وبعـد هـذا لا

(١) الوجيب : اضطراب القلب وشدّة خفقاته .

يـدري أينصرف عنـك بكآبـة الرد أم بسـرور النجح ، فـان اعطيتـه رأيت انـك قد وصلتـه ، وقد قـال رسـول الله (صلّى الله عليـه وآلـه وسلم) : والـذي فلق الحبّة وبـرأ النسمـة ، وبعثني بالحق نبيـاً ، لمـا يتجشم من مسألته إياك ، اعظم مما ناله من معروفك .

قال : فجمعوا للخراساني خمسة آلاف درهم ، ودفعوها إليه .

وكـان رأيه (عليـه الصـلاة والسـلام) ، انـه يغني إذا اعـطى فقـد ورد أن فقيراً سأل الصادق (عليه السلام) فقال لعبده : ما عندك ؟

قال : أربعمائة درهم .

قال : اعطه إياها .

فأعطاه فأخذها وولّى شاكراً فقال الامام لعبده : أرجعه .

فقال : يا سيّدي سألت فأعطيت ، فماذا بعد العطاء ؟

فقـال له : قـال رسول الله (صلّى الله عليـه وآله وسلم) : « خيـر الصدقة مـا ابقت غِنىً ، وإنا لم نُغنـك ، فخذ هـذا الخاتم فقـد أعطيتُ فيه عشرة آلاف درهم ، فاذا احتجت فبعه بهذه القيمة .

قل ما يعبؤا بكم ربي لولا دعائكم

الفرقان ٧٧

بَيْنَ يَدَيِ اللهِ



الدعاء سلاح المؤمن ، والخط المباشر بينه وبين ربه ، فلا يمكنه استئناف الحياة كل يوم الا بالأمل ، والأمل لا ينعقد الا بالدعاء لانه الرابط الوحيد بين المخلوق وخالقه ، والطريق الأمثل للتقرب زلفى الى الله ، وتركه يحدث ثغرةً روحية في حياة المؤمن لا يسدها شيء أبداً ، والله عز وجل يشجع ويشوق عباده على دعائه ، حتى تظل العلاقة قائمةً دون فتور . فيقول عزّ من قائل **﴿وقالَ ربُّكم ادعوني أستَجِب لكم﴾**[1] ويؤكد للناس من خلال الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، انه قريب سميع ، لا تفوته دعوة داع ، وانه عز وجل سيستجيب لهم ، فلا ينبغي أن يفقدوا الأمل بالله عز وجل ، فيقول عز اسمه : **﴿وإذا سألك عبادي عنّي فانّي قريب أُجيب دعوة الداعِ إذا دعانِ ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلّهم يرشدون﴾**[2]

ولا أعتقد أن هناك مدرسة تخصصت في فنون الدعاء والانابة ، بلغة سهلة ممتنعة ، وأسلوب شيّق شامل ، اغنت الامّة الاسلامية في هذا المجال ، كالتي اسسها آل محمد (صلوات الله عليهم اجمعين) .

---

(١) المؤمن ٦٠ . (٢) البقرة ١٨٦ .



فحلولهم لمشاكل الحياة ، كانت على قسمين ، حلولٌ معنوية تتمثل بالدعاء وحلول أخرى تناسب المشكلة . .

فالدعاء ـ عندهم ـ كان في رأس الحلول . وهو ـ عندهم ـ روح العبادة ومن أهم الوظائف للمؤمن .

وأكثر الأدعية التي يرتلها المؤمنون منذ الزمن الأول في صدر الإسلام الى اليوم انما هي من مدرسة آل البيت بعد الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) جميعاً ، ومأثورة عنهم .

وللدعاء عند الصادق (عليه السلام) سجل خاص يحوي فنونه وآدابه والاساليب التي ينبغي على المؤمن أن يلتزم بها حال الدعاء ، والقواعد التي عليه أن يراعيها حال المناجاة بين يدي رب العزّة وجبّار السموات والأرض .

ولطالما حلّ الصادق (عليه السلام) العقد ، ودفع كيد الكائدين وعالج الأمراض ، وعمق ركائز الايمان في النفوس ، واستجلب الرزق ، ودفع المكروه ، وردّ البلاء ، بالدعاء والتضرع والانابة الى الله عز وجل .

فعن أدب الدعاء يقول (عليه الصلاة والسلام) :

« واحفظ أدب الدعاء ، وانظر من تدعوا وكيف تدعوا ولماذا تدعوا ، وحقق عظمة الله وكبرياءه ، وعاين بقلبك علمه بما في ضميرك واطلاعه على سرك وما تكون فيه من الحق والباطل ، واعرف طرق نجاتك وهلاكك كيلا تدعو الله بشيء عسى فيه هلاكك وانت تظن ان فيه نجاتك ، قال الله تعالى : **﴿ويدعو الانسان بالشر دعائه بالخير وكان الانسان عجولا﴾** وتفكر ماذا تسأل وكم تسأل ولماذا تسأل ، والدعاء استجابة الكل منك للحق وتذويب المهجة في مشاهدة الرب وترك الاختيار جميعاً وتسليم الامور كلها ظاهراً وباطناً . الى الله تعالى ، فإن لم تأت بشرط الدعاء فلا تنتظر الاجابة فانه يعلم السر واخفى فلعلك تدعوه بشيء قد علم من سرك خلاف ذلك .

وعن أبي يعفور قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول وهو رافع يده الى السماء :

« ربِّ لا تكلني إلى نفسي طرفة عين أبداً ، لا أقل من ذلك ولا أكثر » .

قال : فما كان بأسرع من أن تحدر الدمع من جوانب لحيته ، ثم اقبل علي فقال : يا ابن أبي يعفور ، إن يونس بن متّى ، وكله الله عز وجل إلى نفسه اقلَّ من طرفة عين ، فاحدث ذلك الذنب ، قلت : فبلغ به كفراً ؟ أصلحك الله . قال : لا ، ولكن الموت على تلك الحال هلاك .

وينزل به ضيف ، فيكرمه الامام ويحسن وفادته ويقدم له احسن الطعام ، ويقوم هو (عليه السلام) بخدمته ، وحين يريد أن يرحل

من دار الامام (عليه السلام) يقول : علمني يا ابن رسول الله دعاءً ، قال (عليه السلام) اكتب « بسم الله الرحمن الرحيم : يا من ارجوه لكل خير ، وآمن سخطه عند كل عثرة ، يا من يعطي الكثير بالقليل ، يا من يعطي من سأله تحنّناً منه ورحمة ، يا من اعطى من لم يسأله ومن لم يعرفه ، صلِّ على محمد وأهل بيته ، واعطني بمسألتك خير الدنيا ، وجميع خير الآخرة ، فانه غير منقوصٍ ما اعطيت وزدني من سعة فضلك ، يا كريم » .

ثم رفع يديه فقال : « يا ذا المنّ والطول ، يا ذا الجلال والاكرام ، يا ذا النعماء والجود ، ارحم شيبتي من النار » ثم وضع يديه على لحيته ولم يرفعهما الا وقد امتلأ ظهر كفّيه دموعاً .

وكثيراً ما كان الامام (عليه الصلاة والسلام) يتدرع بالدعاء فيدفع به كيد الكائدين وظلم الجائرين .

عن أبي الحسن علي بن موسى بن جعفر (الرضا) (عليه السلام) ، عن أبيه موسى بن جعفر (عليه السلام) قال : لما طلب أبو الدوانيق[1] أبا عبد الله وهمَّ بقتله ، فأخذه صاحب المدينة ووجَّه به اليه ، وكان أبو الدوانيق استعجله ، واستبطأ قدومه حرصاً منه على قتله ، فلما مَثُلَ بين يديه ضحكَ في وجهه ، ثم رحَّب به ، واجلسه عنده وقال :

يا ابن رسول الله ، والله لقد وجهت إليه إليك أنا عازم على قتلك ، ولقد نظرت فأُلقي الي مَحَبةٌ لك ، فوالله ما اجد احداً من أهل بيتي

---

(١) أبو جعفر المنصور وكان يعرف بالدوانيقي .

اعـزّ منك ، ولا آثر عندي ، ولكن يـا أبا عبـد الله ما كـلام يبلغني عنك تهجّنا فيه ، وتذكرنا بسوء ؟

فقال الصادق عليه السلام : ما ذكرتك قط بسوء .

فتبسّم أيضـاً وقال : والله أنت اصـدق عنـدي من جميـع من سعى بـك اليّ.هـذا مجلسي بين يـديـك وخـاتمي ، فـانبسط ولا تخشى في جليـل امـرك وصغيـره فلست أردّك عن شيء ، ثم امـره بـالانصـراف وحباه واعطاه ، فأبى أن يقبل شيئاً وقال :

انـا في غنـاءٍ وكفـايـة وخيـر كثيـر ، فـاذا هممت ببـري فعليـك بالمتخلفين من أهل بيتي ، فارفع عنهم القتل ، قال :

قـد قبلت يا أبـا عبد الله وقـد امرت بـأربعمائـة الف درهـم ، ففرق بينهم .

فقال أبو عبد الله عليه السلام : (وصلتَ الرَّحِم !)

فلما خرج من عنـده مشىٰ بين يديـه مشايـخ قريش ، وشبـانُهم من كـل قبيلة ، ومعـه عين أبي الـدوانيق ، فقـال لـه : يـا ابن رسـول الله ، لقـد نظرت نـظراً شـافيـاً حين دخلت على أميـر المؤمنين ، فمـا انكـرتُ منـك شيئاً غيـر أني نظرت إلى شفتيـك وقـد حـرّكتهمـا بشيء فمـا كـان ذلك ؟

قـال : اني لمـا نـظرت إليـه قلت : « يـا من لا يُضـام ولا يُـرام ، وبـه تُواصَـل الارحام ، صـلّ على محمد وآلـه ، واكفني شـرَّه بحـولـك وقـوتك » والله مـا زدتُ على مـا سمعت . قـال : فـرجـع العين الى ابي الدوانيق فأخبره بقولِهِ .

فقال أبو الدوانيق : والله ما استتمَّ كلامه حتى ذهب ما كان في صدري من غائله وشر .

وكان للامام (عليه السلام) صاحب يدعى المعلّى بن خُنيس أو كان من موالي الامام وقد تتلمذ على الامام وصحبه كثيراً وكان قيّماً على بعض أمواله ولانه كان صريحاً في الحق ، معارضاً بشدّة للظلم والظالمين ، اعتقله والي المدينة داود بن علي بن عبد الله بن العباس واحتجز الاموال التي كانت بحوزته وصادرها ثم لم يستقر قراره حتّى قتله . فلما اخبر الصادق (عليه السلام) بمقتل المعلى بن خنيس دخل على الوالي وقال له : قتلت مولاي ، واخذت مالي اما علمت أن الرجل ينامُ على الثكل ، ولا ينام على الحُرَب[1] ؟ اما والله لادعونَّ عليك .

فقال له داود : تهددنا بدعائك ؟ كالمستهزىء بقوله . فرجع أبو عبد الله (عليه السلام) إلى داره فلم يزل ليله كله قائماً قاعداً ، فبعث اليه داود خمسة من الحرس وقال : ائتوني به ، فان ابى فائتوني برأسه فدخلوا عليه وهو يصلّي فقالوا له :

اجب داود ، قال : فان لم أُجب ؟ قالوا امرنا بأمر ، قال :

انصرفوا فانه هو خير لكم في دنياكم وآخرتكم ، فأبوا إلا اخراج الامام (عليه السلام) ، فرفع يديه فوضعهما على منكبيه ثم بسطهما ، ثم دعا بسبابته ، فسمعناه يقول : الساعة الساعة ، حتى سمعنا صرخاً عالياً ، فقال لهم : ان صاحبكم قد مات ، فانصرفوا !! فسئل عليه

---

(١) الحُرَب بضم الحاء وفتح الراء يعني الظلم .

السلام فقال : بعث اليَّ ليضرب عنقي ، فدعوت عليه بالاسم الاعظم ، فبعث الله إليه ملكاً بحربةٍ فطعنه في مذاكيره فقتله .

وقد روت لبابة بنت عبد الله بن العباس نهاية داود وكيفية موته وملخص ذلك ، أن ثعباناً انطوى على صدره وجعل فاه في فيه ، ثم ارسل به الى جهنّم وبئس المصير[1] .

ومرة اخرى ، يبعث المنصور لاحضار الامام (عليه السلام) يريد قتله ـ بعزم واصرار ـ هذه المرة ، ويقوم الدعاء حائلاً بينه وبين ما يبيت من نوايا شريرةٍ تجاه الامام (عليه السلام) .

وكان طرح له سيفاً ونطعاً، ودخل الامام وهو يحرك شفتيه بشيء لا أسمعه ـ كما يقول الربيع الحاجب ـ فقام له المنصور مرحباً به يهشّ له ، وانقلب عن سورة الغضب التي كان فيها ، وقال له : ما أرسلنا اليك يا أبا عبد الله الا رجاء ان نقضي دينك ، ونقضي ذمامك ثم سائله مسائلة لطيفة عن أهل بيته وقال :

قد قضى الله حاجتك ودينك ، يا ربيع لا تمضينَّ ثلاثة حتى يرجع جعفر الى أهله .

فلما خرج قال له الربيع : يا أبا عبد الله رأيتَ السيف ؟ انما كان وضع لك ، والنطع ، فأي شيء رأيتُك تحرك به شفتِك؟

قال جعفر بن محمد (عليه السلام) : نعم يا ربيع ، لما رأيت الشرَّ في وجهه قلت : « حسبيَ الربُّ من المربوبين ، وحسبيَ الخالق

---

(١) وتفصيل ذلك في بحار الأنوار للعلامة المجلسي المجلد (٤٧) طبع بيروت دار الوفاء .

من المخلوقين ، وحسبيَ الرزاق من المرزوقين ، وحسبيَ الله ربّ العالمين ، حسبي من هو حسبي ، حسبي من لم يزل حسبي ، حسبي الله لا إله إلا هو ، عليه توكّلت ، وهو ربّ العرش العظيم » .

وإن كان الطلب مصداقاً من أبرز مصاديق الدعاء فثمة من يدعو ويطلب الى الله عزّ وجلّ ، ما هو قادر عليه متمكّن منه ، أو يدعو من غير سعي أو عمل ، هؤلاء يقطع الامام (عليه السلام) الطريق ، ويعدهم انهم لا يستجاب لهم ، لأنهم كسالى ، يدعون ولا يسعون ، كالذي يطلب الرزق من الله عز وجلّ ولا يبدي حراكاً في سبيل الحصول عليه . يقول (عليه الصلاة والسلام) :

أربعة لا تُستجاب لهم دعوة : الرجل جالس في بيته يقول اللهم ارزقني فيقال له : الم آمرك بالطلب ؟ ورجل كانت له امرأة فدعا عليها ، فيقال له : ألم أجعل أمرها اليك ؟

ورجل كان له مال فأفسده ، فيقول اللهم ارزقني ، فيقال له : ألم آمرك بالاقتصاد ؟ الم آمرك بالاصلاح ؟ ثم قال (عليه السلام) : « الذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً »[1] ورجل كان له مال ، فأدانه رجلاً ولم يُشهد عليه ، فجحده ، فيقال له : الم آمرك باشهاده ؟

وقريباً من هذا المعنى (الدعاء الذي لا يستجاب !) يقول (عليه الصلاة والسلام) : قال موسى بن عمران : يا رب ، أسألك ان لا يذكرني احدٌ الا بخير ، قال تعالى : ما فعلت ذلك لنفسي .

---

(١) الفرقان ٤٧ .

ومن الادعية المعروفة للامام (عليه السلام) دعاء التضرع ، كان يدعو به (عليه السلام) في الشدائد ، ويكشف عن ذراعيه ويرفع صوته به وينتحب ويكثر البكاء ويقول :

« اللهم لولا أن القي بيدي واعين على نفسي واخالف كتابك وقد قلت : ادعوني استجب لكم فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعانِ ، لما انشرح قلبي ولساني لدعائك والطلب منك وقد علمت من نفسي فيما بيني وبينك ما عرفت .

«اللهم من اعظم (جرماً مني) وقد ساورت معصيتك التي زجرتني عنها بنهيك إياي وكاثرت العظيم منها التي اوجبت النار لمن عملها من خلقك ، وكل ذلك على نفسي جنيت ، وإياها أوبقت النهي فتداركني برحمتك التي بها تجمع الخيرات لأوليائك وتصرف السيئات عن احبائك .

«اللهم اني أسألك التوبة النصوح فاستجب دعائي وارحم عبرتي واقلني عثرتي . اللهم لولا رجائي لعفوك لصمت عن الدعاء ولكنك على كل حال يا إلهي غاية الطالبين ومنتهى رغبة الراغبين واستعاذة العائذين ».

«اللهم فأنا أستعيذك من غضبك ، وسوء سخطك وعقابك ونقمتك ، ومن شرّ نفسي ، وشرّ كل ذي شرّ ، واستغفرك من جميع الذنوب ، وأسألك الغنيمة فيما بقي من عمري ، بالعافية أبداً ما أبقيتني ، وأسألك الفوز بالجنة، والرحمة اذا توفيتني ، فانك لذلك لطيف ، وعليه قادر ».

«اللهم اني اشكو إليك كل حاجة لا يجيرني منها الا انت ، يا من هو عدّتي في كل عسر ويسر ، يا من هو حسن البلاء عندي ، يا قديم العفو عنّي ، انني لا ارجو غيرك ، ولا اعوذ سواك اذا لم تجبني ، اللهم فلا تحرمني لقلة شكري ، ولا تؤيسني لكثرة ذنوبي فانك اهل التقوى واهل المغفرة » .

«إلهي أنا من قد عرفت بئس العبد أنا وخير المولى أنت ، فيا مخشى الانتقام ويا مرهوب البطش ويا معروفاً بالمعروف انني ليس أخاف منك إلا عدلك ولا ارجو الفضل والعفو الا من عندك ، وانا عبدك ولا عبد لك احق باستيجاب جميع العقوبة به وبذنوبي مني ، ولكني وسعني عفوك وحلمك واخرتني الى اليوم ، فليت شعري يا الهي لازداد إثماً اخرتني ام ليتم رجائي منك ريحقق حسن ظنّي بك ، فأما بعملي فقد اعلمتك انني مستحق لجميع عقوبتك بذنوبي غير انك ارحم الراحمين ، وأنت بي أعلم من نفسي وعند ارحم الراحمين رجاء الرحمة ، فيا أرحم الراحمين لا تشوه خلقي بالنار ولا تقطع عصبي بالنار يا الله ، ولا تغلق قحف رأسي بالنار يا رحمن ، ولا تفرق بين أوصالي بالنار يا كريم ، ولا تهشم عظامي بالنار يا غفور ، ولا تصل شيئاً من جسدي بالنار يا رحمن ، عفوك عفوك ثم عفوك عفوك ، فانه لا يقدر على ذلك غيرك وانت على كل شيء قدير » .

« يا محيطاً بملكوت السماوات والأرض ومدبر امورهما أولها وآخرها اصلح لي دنياي وآخرتي واصلح لي نفسي ومالي وما خولتني ، يا الله خلصني من الخطايا ، يا الله مُنّ عليَّ بترك

الخطايا ، يا رحيم تحنّن عليَّ بفضلك ، يا عفوّ تفضل عليَّ بفضلك ، يا حنّان جدْ عليَّ بسعة عافيتك » .

وحين يسجنُ داود بن الحسن بن الجسن مع من سجن من الطالبيين والعلويين ويحملون مكبّلين بالحديد الى العراق حيث الطاغوت العباسي ، وتنقطع اخباره عن امه ، وهي التي ارضعت الصادق (عليه السلام) بلبن ولدها داود .

قالت : دخلت على أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) يَوماً اعوده في علةٍ وجدها ، فبادرني بالسؤال عن اخبار داود ، فقلت : يا سيدي وأين داود ؟ وقد فارقني منذ مدة طويلة وهو محبوس بالعراق .

قال : أين أنت من دعاء الاستفتاح وهو الدعاء الذي تفتح له أبواب السماء ، ويلقى صاحبه الاجابة من ساعته ، وليس لصاحبه جزاء عند الله الاّ الجنة .

قلت : وكيف ذلك يا ابن رسول الله ؟

قال لي : يا ام داود، قد دنى الشهر الحرام العظيم شهر رجب ، وهو شهر مسموع فيه الدعاء ، شهر الله الأصم ، صومي الثلاثة البيض واغتسلي في يوم الخامس عشر وقت الزوال ثم علّمها صلاة خاصة ، ودعاءًا . ذكرهما المحدث القمي في مفاتيح الجنان .

قالت ام داود : بتُّ ليلتي تلك ثم اصبحت ، فما لبِثت إلا قدر مسافة الطريق من العراق الى المدينة للراكب المجد المسرع المعجّل ، حتّى قدم على ولدي داود وقد فرّج الله عنه ببركة دعاء الصادق (عليه السلام) .

ومـا أكثر الأدعيـة والصلوات والأذكار المـأثورة عن الامـام أبي عبد الله الصـادق (عليه السـلام) تضمنتها المصـادر وكتب الدعـاء نسـأل الله التـوفيق للأخـذ والعمل بهـا وان لا يخذلنـا نصر الله في محـاربـة النفس والشيطان .

أجـل ، انه (عليـه السلام) يـرى الدعـاء نهجاً عمليـاً وبـرنـامجـاً للحيـاة ، وبعداً مهمـاً من أبعاد حيـاة الانسـان المؤمن ، لا مجـرّد وسيلة تعبّدية فحسب .

انـه (عليه الصـلاة وعليـه السـلام) ، يـدعـو ، ويعلم الـدعـاء ، ويـوصي به ، وينـطلق منـه لـدفـع الملمـات وتفـريـج المهمـات وكشف الكروب ، وقضاء كل حاجة .

يؤكّـد لأصحابـه وشيعته وخـاصته ، أن لا بـديل للدعـاء في حيـاة اهل الإيمان ، ولا طريق أقرب الى الله من التضرع والدعاء والانابة .

اللهمّ وفّقنـا لـطاعتـك ودعـائـك وصلّى الله على محمّـد وآلـه الطاهرين .



يرفع الله الذين آمنوا منكم والـذين أُوتوا العلمَ درجـات . .

المجادلة / ١١ .

في رحاب العلم



قال الصادق (عليه الصلاة وعليه السلام) عن العلم :

* العلمُ رأس الخير كلِّهِ .
* أكثر الناس قيمة أكثرهم علماً .
** العلماء امناء الرسل ، ما لم يأتوا أبواب السلاطين .
* اطلبوا العلم ، ولو بخوض اللّجج ، وشقّ المهج .
* تفقّهوا في الدين ، فان من لم يتفقّه في الدين فهو أعرابي .
* العلم جُنّة .
* إن العلمَ خليل المؤمن .

حديث في حلال أو حرام تأخذه من صادق خير من الدنيا وما فيها .

هذه بعض من رؤية الصادق (عليه السلام) عن العلم والعلماء ، وبعض الركائز والاسس التي اقام عليها مدرسته الكبرى ، تلك المدرسة الخالدة التي لا زالت الامة تنتفع من نِثارها ، وتستنشق عبقها .

انّها سنّة الإسلام ورجاله وقادته من أئمة أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) .

انّهـا الفكـرة التي طـرحهـا القـرآن الكـريم ان النـاس سـواسيـة لا فضـل لأحد على أحـد الا بـالتقـوى والعلم ، فـالعلم يمنـح المـرء ميّـزة خاصة ويستحق به كل اكرام وتعظيم ، شـريطة أن يكـون مقرنـاً بالإيمـان والعمل الصالح .

ولـلإمـام الصـادق (عليـه السـلام) ، مـدرسـة تعُـجُّ بـالعلمـاء ، والبـاحثين ، والمفكـرين وداره مأوى ومحطٌّ لأهـل العـلم واربـاب المعارف والفنون .

إذا قعـد (عليه السـلام) لإلقاء الـدروس تـزدحم جـامعتـه بهم ، وسـواء أن تشكل هـذه الجامعـة في الكوفـة أو الحيـرة بـالعـراق ، أو في مـدينة جـدّة وبجوار مـرقـده (صلّى الله عليـه وآلـه وسلم) ، ويكفي أن يعلن الامـام انه فتـح أبواب الـدراسة ، ليجتمـع حولـه آلاف المجتهدين والفقهـاء ، والمتلهفين للعلم في مختلف فنـون المعـرفـة وشتى أبـواب العلم .

يـروي الصدوق في الامـالي عن رسول الله (صلّى الله عليـه وآلـه وسلم) أنـه قـال : (المؤمن من إذا مـات ، تـرك ورقـة واحـدة عليهـا علم ، تكون تلك الورقة ، يوم القيامة ستراً بينه وبين النار » .

والامـام الصـادق (عليـه السـلام) ، تـرك من العلوم والفنـون والآداب مـا تذهب بـه الابل !! خَلَّفَ بحـراً لا ينضب ، وسيلاً لا ينقـطع من علوم آل محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلم) .

وهـو (عليه الصـلاة والسلام) واضـع لبعض هـذه العلوم ومؤسس لاصـولهـا وفـروعهـا لم تكن معـروفـة ولا معهـودة قبـل عهـده ، كعلم

الحديث والكيمياء الذي عرف به تلميذه جابر بن حيّان الكوفي .

والشيعة يرون في معتقداتهم أن هذا السير الهادر والبحر الزاخر من العلوم انما هي حلقات متصلة في سلسلة ثقافية علمية اسلامية تنحدر من رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) لتتصل بعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) (أعلم الصحابة قاطبة) كما قال عنه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، وهو القائل : « علّمني رسول الله ألف باب من العلم ، ففتح لي من كل باب ألف باب » قالها حين اختلى به رسول الله (صلّى الله غليه وآله وسلم) ، ليلة بعد صلاة العشاء حتى مطلع الفجر ، فلما خرجا لصلاة الفجر ، استوقفه بعض الصحابة يسأله عن سبب الخلوة : فأجابه : علّمني رسول الله . . . .

ويؤثر عنه (عليه الصلاة والسلام) كثيراً ، انه كان يقف على المنبر في مسجد الكوفة ، ويعلن على الملأ : « سلوني قبل أن تفقدوني » .

عن الاصبغ بن نباتة قال : لما جلس عليّ للخلافة وبايعه الناس ، خرج الى المسجد . . . فصعد المنبر فجلس عليه متمكناً ، ثم شبك أصابعه ، فوضعها أسفل بطنه ثم قال : « يا معاشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني ، هذا سفط العلم ، هذا لُعاب رسول الله ، هذا ما زقّني رسول الله زقّاً زقّاً ، سلوني فان عندي علم الأولين والآخرين . . .

ثم قال : سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالله الذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتموني عن آية آية في ليل انزلت ، أو في نهار انزلت ،

مكّيها ومدنيها ، سفريها وحضريها ، ناسخها ومنسوخها ، محكمها ومتشابهها ، تأويلها وتنزيلها لأخبرتكم .

ويستمر هذا التفوق العلمي في آل البيت والأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم اجمعين) حتى ينتهي بآخر امام منهم .

انّما برز الصادق (عليه السلام) من بين الأئمة ، وعرف على انه عالم آل محمد ، لانه استطاع ـ من خلال الظروف المؤآتية ، والفرص المناسبة التي عاشها (عليه السلام) ـ أن يتولى نشر هذه العلوم والمعارف وبثّ هذا الفكر الاسلامي العميق دون سواه من الائمة الهداة (عليه السلام) ، لأنهم جميعاً يعيشون أزمنة حالكة وظروفاً قاسية وحياة قصيرة .

فأنّى لعلي بن الحسين ، زين العابدين ـ مثلاً ـ أن يقوم بمهمة التثقيف والتدريس ونشر المعارف والعلوم ، في حين كانت المحن والفتن والأهوال تحفّه من كل جانب ، وكانت السياسة الاموية ـ له ولشيعته ـ بالمرصاد ، والمشاكل السياسية التي عاشها بعد واقعة الطفّ اخذت من حياته كل الفرص .

كذلك الحال بالنسبة للحسن والحسين (عليهما السلام) ، وهكذا شأن الآخرين من الأئمّة الطاهرين .

فالمعروف عن الامام السابع (موسى الكاظم) ابن الامام الصادق (عليه السلام) انه قضى ثلث عمره تقريباً متنقلاً بين الحبوس والزنزانات العباسية ، عدى ما كان يعانيه من الكبت والضغط والاجحاف في الفترات التي كان طليقاً فيها ، وكانت الحكومات

المعاصرة له ، تتخذ اعلى درجات الحيطة والحذر منه ومن أصحابه ، وخاصته وشيعته ، فكيف ـ والحال هذه ـ يتأتّى لمثل هذا الامام أن يعقد مجالس الدرس ، ويجلس للناس عامة ، ويلقي عليهم محاضراته وعلومه ؟

ان السياسات الغاشمة والحكومات الظالمة ، لتخاف أشدّ الخوف أمثال هؤلاء العلماء ، ولا تريد للناس أن يعرفوهم ، أو يلتقوا بهم ، بل تضيّق عليهم الدائرة ، وتغلق دونهم الأبواب ، كما حصل بالفعل للأئمة من آل البيت ، (عليهم الصلاة والسلام) ، طيلة الزمن المتمادي من تاريخ الإسلام !!

أما الصادق (عليه الصلاة والسلام) فانه ـ ومن حسن حظّ المسلمين ـ عاش فترة حجبت مشاكله السياسية عيون السلاطين عنه (عليه السلام). فترة الانهيار للدولة الأموية، والتأسيس للدولة العباسية، وطبيعي أن هذين المقطعين من الزمن ، عصيبة لكل الملوك والسلاطين وكل الحكام ، يلتهي الحاكم بمشاكل تغنيه عن أن يفكر بالقضاء على مثل الامام الصادق ، ومحاربته ومراقبته .

اغتنم الامام هذه الفرصة ، فأسّس مدرسته الخالدة ، وجامعته الكبرى . وحاول كثيراً أن يتجنّب خطوط التماس مع الحاكمين ، وينصرف الى العلم ، ويركّز على هذا البعد الضائع في حياة آل البيت (عليهم السلام) ، ويقوم بثورة ! الا انها علمية فكرية .

رواته (عليه الصلاة والسلام)

ولنقف أولاً مع بعض رواته عليه السلام لتتجلّى مدى عظمة المدرسة وجلالتها ومهابتها من خلال هؤلاء الاساطين في الفكر الاسلامي والافذاذ في مدينة العلم .

منهم : زرارة بن أعين ، ابان بن تغلب ، مؤمن الطاق ، هشام بن الحكم ، حمران بن أعين ، أبو بصير المرادي ، هشام بن سالم ، بريد العجلي ، محمد بن مسلم ، جابر بن حيّان الكوفي ، مؤسس الكيمياء كما عرفه الغرب ، ثابت بن دينار ، أبو حمزة الثمالي ، جابر بن يزيد الجعفي ، قيس الماصر هؤلاء من الشيعة ، أما من السنّة فمنهم :

أبو حنيفة النعمان بن ثابت ، مالك بن أنس ، سفيان بن عيينة ، سليمان بن بلال ، شعبة بن الحجاج ، سفيان الثوري ، سعيد بن سالم القداح ، ابراهيم بن محمد بن أبي يحيى ، عبد العزيز الداراوردي ، جرير بن عبد الحميد ، ابراهيم بن طهمان ، عاصم بن عمر (حفيد عمر بن الخطاب) ، وابو عاصم النبيل (شيخ أحمد بن حنبل) ، الكسائي عالم اللغة ، عبد العزيز بن عبد الله الماجشون زميل مالك في الفتيا في زمن الحج ، عبد العزيز بن عمران حفيد عبد الرحمن بن عوف ، وابن جريج إمام مكة ، الفضيل بن عياض ، القاسم بن معن ، حفص بن غياث ، المنصور بن المعتمر ، مسلم بن خالد الزنجي شيخ الشافعي بمكة ، يحيى بن سعيد القطان . وغيرهم كثير وكثير .

ولقد صنف الحافظ أبو العباس بن عقدة ، كتاباً جمع فيه رجال

الصادق (عليه السلام) ، ورواة حديثه ، وانهاهم الى أربعة آلاف ، وكتب من اجوبته (عليه السلام) أربعمائة صنف .

علم الامام

من أقواله (عليه الصلاة والسلام) في علمه وعلم الأئمة من آل البيت (عليهم السلام): علمنا غابرٌ ومزبور ونكتٌ في القلوب ونقرٌ في الأسماع وان عندنا الجفر الأحمر ، والجفر الأبيض ، ومصحف فاطمة ، وان عندنا الجامعة ، فيها ما يحتاج الناس إليه .

ويروى له (عليه الصلاة والسلام) :

في الاصل كنا نجوماً يستضاء بنا ... وللبرية نحن اليوم برهان
نحن البحورُ التي فيها لغائِصِكم ... درٌّ ثمينٌ وياقوتٌ ومرجان
مساكن القدسِ والفردوس نملِكُها ... ونحن للقدس والفردوس خزّان
من شذَّ عنّا فبرهوتٌ مساكنه ... ومن أتانا فجنّات وولدان

قد يعترض البعض حين نذكر من اخبار آل محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، الجفر[1] ومصحف فاطمة ، ولقد سمعت بنفسي أحد الخطباء في الكويت ينتقد بشدّة مصحف فاطمة ، وكان ينسب للشيعة انهم يزعمون ان لهم مصحفاً غير المصحف المعروف !! فيه ما ليس في القرآن !! وهو مصحف فاطمة .

---

(١) يقول ابو العلاء المعري عن الجفر :

لقد عجبوا لآل البيت لما ... أتاهم علمهم في جلد جفرِ
فمرآة المنجم وهي صغرى ... تريه كلَّ عامِرَةٍ وقفرِ

مثل هذا الكلام ، ينمُّ عن سوء في الفهم ، وجهل بالحقيقة والواقع ، فالمستفاد من الروايات والاخبار أن الجفر ومصحف فاطمة كتابان دوّنهما عليٌّ وفاطمة (عليهما السلام)، بُعيد وفاة الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، فيهما من العلوم والاسرار ما ليس في كتاب آخر ، وهما من اختصاصات اهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) ، بل هما الشاهد الاقوى على الاهتمام الذي أولاه أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) للعلم والمعرفة ، لأنهم دون غيرهم بدأوا بالكتابة والتدوين في صدر الاسلام وقبل الجميع ، فقد مارس عليّ وفاطمة (عليها الصلاة والسلام) ، الكتابة منذ عهد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ثم بعد وفاته، في حين انشغل الآخرون بالدنيا وأمور السياسة والحكم . .

وشتّان بين ما يكتبه عليّ وفاطمة والائمة من أولادهما ، وبين ما يكتبه غيرهم فهم أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا ، وقد نزل الكتاب بين أفنيتهم ، وعاشروا وعاصروا الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) كما لم يحيا معه غيرهم ، فلا غرو أن يكون عند عليّ وفاطمة من العلوم والمعارف والاسرار ما ليس عند احد غيرهما ، وفوق ذلك ما تميّزا به من ذكاء خارق ، واخلاص في العمل ، وما الى ذلك من اسباب التنوير الفكري والتفتح الذهني .

كذلك الحال بالنسبة للأئمة من أهل البيت، (عليهم الصلاة والسلام) ، انهم معادن العلم ، ومهابط الوحي ، ومحاور المعارف الانسانية ، ومراكز الفكر الاسلامي القويم ، هذا اذا لم نكن من

المعتقدين بإمامتهم الربانية وتميّزهم بالعصمة الالهية ـ كما يعتقدها لهم الشيعة ، اما لو كان الحال كذلك ، فحدّث ولا حرج .

عن سالم بن أبي حفصة قال : لما هلك أبو جعفر محمد بن عليّ الباقر (عليه السلام) قلت لأصحابي : انتظروني حتى ادخل على أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليه السلام) فاعزّيه فدخلت عليه ، فعزّيته ، ثم قلت :

إنّا لله وإنّا إليه راجعون ، ذهب والله من كان يقول قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) فلا يسأل عمن بينه وبين رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، لا والله لا يُرى مثله أبداً قال : فسكت أبو عبد الله (عليه السلام) ساعة ، ثم قال :

قال الله عزّ وجلّ ﴿إن من يتصدّق بشقّ تمرة فاربّيها له كما يربي أحدكم فلوّه حتّى اجعلها له مثل أُحُد﴾ فخرجت الى اصحابي فقلت :

ما رأيت اعجب من هذا ، كنا نستعظم قول أبي جعفر (عليه السلام) قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) بلا واسطة ، فقال لي أبو عبد الله (عليه السلام) قال الله بلا واسطة .

قال عنه أنس بن مالك :

ما رأيت عين ، ولا سمعت أذنٌ ، ولا خطر على قلب بشر أفضل من جعفر الصادق (عليه السلام) فضلاً ، وعلماً ، وعبادة ، وورعاً .

دخل عليه سفيان الثوري يوماً ، فسمع منه كلاماً اعجبه ،

فقال : هذا والله يابن رسول الله الجوهر .

فقال الامام (عليه السلام) : بل هذا خيرٌ من الجوهر ، وهل الجوهر الّا حجر .

بين يديّ الصادق (عليه السلام)

وجاء أبو حنيفة اليه ليسمع منه ، وخرج أبو عبد الله يتوكّأ على عصا ،

فقال له أبو حنيفة : يا ابن رسول الله ، ما بلغت من السنّ ما تحتاج معه الى العصا .

قال (عليه السلام) هو كذلك . ولكنها عصا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) أردت التبرّك بها .

فوثب أبو حنيفة إليه وقال : اقبلها يا ابن رسول الله ؟ فحسر أبو عبد الله عن ذراعه وقال له :

والله لقد علمت أن هذا بشر رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) وأن هذا من شعره فما قبلته ، وتقبل عصا !!

* وعن الحسن بن زياد قال : سمعت أبا حنيفة وقد سُئِل من أفقه من رأيت ؟ قال : جعفر بن محمد ، لما أقدمه المنصور ، بعث اليَّ فقال : يا أبا حنيفة ، إن الناس قد فُتِنوا بجعفر بن محمد ، فهيّىء له من مسائلك الشداد فهيّأت له أربعين مسألة ، ثم بعث اليَّ أبو جعفر وهو بالحيرة فأتيته .

فـدخلت عليـه ، وجعفـر بن محمـد (عليـه السـلام) جـالس عن يمينـه ، فلما بصـرتُ بـه دخلني من الهيبـة لجعفـر مـا لم يـدخلني لأبي جعفـر ، فسلّمت عليه ، فـأومأ إليَّ فجلست ، ثم التفت إليـه ، فقـال : يـا أبـا عبـد الله هـذا أبـو حنيفـة ، قـال : نعم أعـرفـه ، ثم التفت إليَّ فقـال : يـا أبـا حنيفـة ألقِ على أبي عبـد الله من مسـائلك ، فجعلت القي عليه فيجيبني ، فيقول : أنتم تقولون كـذا ، وأهل المـدينة يقـولون كذا ، فربما تابعنـا ، وربما تـابعهم ، وربما خـالفنا جميعـاً ، حتى أتيت على الاربعين مسألة ، فما اخلّ منها بشيء .

ثم قـال أبـو حنيفـة : أليس أن اعلم النـاس ، اعلمهم بـاختـلاف الناس ؟

* عن عيسى بن عبد الله القرشي قال :

دخـل أبو حنيفـة على أبي عبد الله (عليـه السلام) فقـال له : يـا أبا حنيفة بلغني انك تقيس ؟

قال : نعم .

قـال : لا تـقس ، فـان أول من قـاس إبـليس ، حيـن قـال : « خلقتني من نـار وخلقتـه من طين »[1] فقـاس مـا بين النـار والـطين ، ولو قاس نوريَّة آدم ، بنـوريَّة النـار عرف فضـل ما بين النـورين ، وصفاء احدهما على الآخر .

* وعن معـاويـة بن عمـار قـال : مـاتت اخت مفضـل بـن

(١) الاعراف ١٢ .

غياث ، فأوصت بشيء من مالها ، الثلث في سبيل الله ، والثلث في المساكين ، والثلث في الحج ، فاذا هو لا يبقى ما يبلغ ما قالت ، فذهبت أنا وهو الى ابن أبي ليلى فقصَّ عليه القصة . فقال : اجعلوها ثلثاً في ذا ، وثلثاً في ذا ، وثلثاً في ذا ، فأتينا ابن شبرمة ، فقال كما قال ابن أبي ليلى .

فأتينا أبا حنيفة ، فقال كما قالا .

فخرجنا الى مكّة ، فقال لي : سل أبا عبد الله (عليه السلام) ولم تكن حجّت المرأة ، فسألت أبا عبد الله (عليه السلام) فقال : ابدأ بالحج فانه فريضة من الله عليها ، وما بقي اجعله بعضاً في ذا وبعضاً في ذا .

قال : فقدمت فدخلت المسجد ، واستقبلت أبا حنيفة وقلت له : سألت جعفر بن محمد عن الذي سألتك عنه ، فقال لي : ابدأ بحقّ الله أولاً ، فانه فريضة عليها ، وما بقي اجعله بعضاً في ذا وبعضاً في ذا .

قال : فوالله ما قال لي خيراً أو شراً ، وجئت الى حلقته وقد طرحوا نفس المسألة وقالوا : قال أبو حنيفة : ابدأ بالحج فانه فريضة الله عليها .

قال : فقلت : هو بالله قال : كذا وكذا ، فقالوا : هو خبَّرنا هذا .

عن الافلاك والنجوم

للإمام (عليه السلام) يد طولى في كل علم وفن ولا عجب

من ذلك ، فأننا نعتقد فيهم انهم معادن العلم ، ومساكن الوحي ، فمن اخلص الطاعة والعبادة لله أربعين صباحاً ، جرى الله على لسانه ينابيع الحكمة ، وقذف في قلبه العلم والإيمان ، فكيف بإمام عظيم ينحدر من رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) يشهد له التاريخ بالتفوق العلمي ، والسبق الفكري ، اضف الى ذلك كونه اماماً للمتقين ، وزعيماً للمؤمنين ، وركناً من أركان الدين ، وعلماً من أعلام الهداية .

ومن المجالات العلمية التي نال فيها الامام الصادق (عليه السلام) ، قصب السبق في عهده النيّر ، علم الكواكب والنجوم .

* عن ابان بن تغلب قال : دخل يمانيٌّ على الصادق (عليه السلام) ، فقال له : مرحباً بك يا سعد ، قال الرجل : بهذا الاسم سمّتني امي ، وقلَّ من يعرفني به ! فقال الصادق (عليه السلام) : صدقت يا سعد المولى . فقال : جعلت فداك بهذا كنت القّب ، فقال : لا خير في اللقب ، إن الله يقول : ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾[1]

ثم قال : ما صناعتك ؟

قال : أنا من أهل بيت ننظر في النجوم .

قال الامام (عليه السلام) : كم ضوء الشمس على ضوء القمر درجة ؟

قال : لا أدري .

---

(١) الحجرات ١١ .

قال (عليه السلام) : فكم ضوء القمر على ضوء الزهرة درجة ؟

قال سعد : لا أدري .

فقال (عليه السلام) : فكم للمشتري من ضوء عطارد ؟

قال : لا أدري .

قال (عليه السلام) : فما اسم النجوم التي اذا طلعت هاجتِ البقر ؟

قال : لا أدري .

فقال (عليه السلام) : يا أخا أهل اليمن عندكم علماء ؟

قال : نعم ، إن عالمهم ليزجر الطير ، ويقفو الاثر في الساعة الواحدة مسيرة سير الراكب المجدّ .

فقال (عليه السلام) : إن عالم المدينة اعلم من عالم اليمن ، لأن عالم المدينة ينتهي الى حيث لا يقفوا الأثر ، ويزجر الطير ، ويعلم ما في اللحظة الواحدة مسيرة الشمس ، يقطع اثني عشر برجاً ، واثني عشر بحراً ، واثني عشر عالماً .

قال : ما ظننت أن احداً يعلم هذا ويدري .

ويروي هشام الخفّاف قال : قال لي أبو عبد الله (عليه السلام) كيف بصرك بالنجوم ؟

قلت : ما خلّفت بالعراق أبصر بالنجوم منّي .

فقال (عليه السلام) : كيف دوران الفلك عندكم ؟

قال : فأخذت قلنسوتي عن رأسي فأدرتها . .

قال (عليه السلام) : فان كان الامر على ما تقول ، فما بال بنات النعش والجدي والفرقدين ، لا يرون يدورون يوماً من الدهر في القبلة ؟

قال : قلت : والله هذا شيء لا اعرفه ، ولا سمعت احداً من أهل الحساب يذكره .

فقال لي : كم السكينة من الزهرة جزءاً من ضوئها ؟

قلت : هذا والله نجم ما سمعت به ولا سمعت احداً من الناس يذكره .

فقال : سبحان الله ، فأسقطتم نجماً بأسره ، فعلى ما تحسبون ؟

ثم قال : فكم الزهرة من القمر جزءاً في ضوئه ؟

قلت : هذا شيء لا يعلمه الا الله عزّ وجلّ .

قال (عليه السلام) : فكم القمر جزءاً من الشمس في ضوئها ؟

قلت : ما اعرف هذا ؟

قال : صدقت .

ثم قال : ما بال العسكرين يلتقيان ، في هذا حاسب وفي هذا

حاسب ، ويحسب هذا لصاحبه بالظفر ، ويحسب هذا لصاحبه بالظفر ، ثم يلتقيان فيهزم احدهما الآخر ، فأين كانت النجوم ؟

قلت : لا والله لا اعلم ذلك .

قال (عليه السلام) : صدقت ، إن أهل الحساب حق ، ولكن لا يعلم ذلك الا مَن علم مواليد الخلق كلهم .

وكلمة للعلماء

إن كان الامام الصادق (عليه السلام) يولي العلم والعلماء اهميةً قصوى ويسير في هذه السُنَّة على خطى القرآن والرسول ، وإن كان للعلم عنده شأن عظيم وللعلماء لديه منزلة رفيعة ، وان كان يرى اكثر الناس قيمة أكثرهم علماً والعلم عنده رأس كل خير ، ومنطلق لكل سعادة ، ويقول عن العلم والعلماء :

« إن العلماء ورثة الأنبياء ، وذاك أن العلماء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً ، وانما اورثوا احاديث من احاديثهم ، فمن اخذ بشيء منها فقد أخذ حظّاً وافراً ، فانظروا علمكم ، عمن تأخذونه ، فان فينا أهل البيت في كل خلف عدولاً ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين » .

فانه (عليه الصلاة والسلام) ، لا يرضى لقافلة العلم والعلماء أن تنطلق وحيدة على الساحة ، بل يريدها أن تشقّ الطريق، يقودها الإيمان الراسخ ويظللها العمل الجاد الخالص لوجه الله .

فلو تخلّى العالم عن الإيمان أو لم يقرن علمه بالعمل الصالح

فانه في الحقيقة جاهل ! لم يدرك مفهوم العلم وحقيقته، ويريد أن يسخر العلم لصالح الدنيا والنفس والأهواء ، فلا خير اذن في مثل هذا العلم ، ولا فائدة ترتجىٰ من مثل هذا العالم .

فكم من عالم نزع ثوب الإيمان ، وخلع لباس التقوى ، او دفن علمه في صدره من غير أن يعمل به أو ينشره . فكانت عاقبته أن ضاع في متاهات الحياة ، وفقد في مزبلة التاريخ .

يقول (عليه الصلاة والسلام) :

« طلبة العلم ثلاثة : فاعرفهم بأعيانهم[١] وصفاتهم ، صنفٌ يطلِبُهُ للجهل والمراء ، وصنفٌ يطلُبُه للاستطالة والختل[٢] ، وصنفٌ يطلبه للفقه والعقل .

وصاحب الجهل والمراء مؤذ مُمار ، متعرضٌ للمقال في اندية الرجال بتذاكر العلم ، وصفة الحلم ، قد تَسَرْبَلَ بالخشوع : وتخلّىٰ عن الورع : فدق الله من هذا خيشومه ، وقطع منه حيزومه[٣] .

وصاحب الاستطالة والختل ذو خِب[٤] وملق ، يستطيل على مثله من أشباهه ويتواضع للأغنياء من دونه ، فهو لحلوائهم هاضم ، ولدينه حاطم ، فأعمى الله على هذا خبره[٥] وقطع من آثار العلماء أثره .

وصاحب الفقه والعقل ، ذو كآبة وحزن وسهر ، قد تحنك في

(١) بأعيانهم اقسامهم. (٢) الختل : ختله ختلاً وختلاناً : خدعه .
(٣) الحيزوم : وسط الصدر. (٤) الخب : بالكسر الخدعة ، ذوخب : مخادع .
(٥) خبره : أي علمه .

بُـرنسـه[1] وقـام الليـل في حنـدسـه[2] يعمـل ويخشى وجـلاً داعيـاً ، مشفقـاً ، مقبلاً على شـأنه ، عـارفاً بـأهل زمـانـه ، مستـوحشـاً من أوثق اخوانه ، فشدَّ الله من هذا أركانه ، واعطاه يوم القيامة أمانه » .

ويقـول (عليه السـلام) أيضاً : « العلم مقـرون الى العمـل ، من عَلِمَ عَمِـل ، و من عَمِلَ عَلِم و العلم يهتف بـالعمل ، فـان اجـابـه والا ارتحل !! » .

ويهمس في أذان بعض العلمـاء والخـطبـاء بكلمـة بـالغـة في الاهميـة يجدر بهم أن يضعـوهـا نصب أعينهم ، فـلا يـزيغـوا عن جـادة الصواب .

يقسم العلمـاء الى فئـات متعـددة ، هـالكـة جميعـاً ، لأنهم يسخّرون العلم لصالح الحياة الـدنيا ، ويـطلبون بـه السفاسف الـزائلة ، والتفـاهات الفـانية ، وحـرصاً من الامـام (عليه السـلام) على هؤلاء أن ينـزلقوا في متـاهات عميقـة ، وينساقـوا وراء المصالـح والاهـواء ينبههم بهذه العبارات الزاجرة .

يقـول (عليـه السـلام) : « إن من العلمـاء من يحب أن يخـزن علمه ، ولا يؤخذ عنه فذلك في الدرك الاسفل من النار » .

ومن العلمـاء ، من إذا وُعِظ أنـف ، وإذا وَعَظَ عَنّـف ، فـذلـك في الدرك الثاني من النار .

---

(١) أي تعمد للعباءة وتوجّه اليها وتجنب الناس وصار في ناحية منهم.

(٢) الحندس : الظلمة.

« ومن العلماء » من يرى ان يضع العلم عند ذوي الثروة والشرف ولا يرى له في المساكين وضعاً ، فذاك في الدرك الثالث من النار .

« ومن العلماء » من يذهب في علمه مذهب الجبابرة والسلاطين ، فان ردّ عليه شيء من قوله أو قصر في شيء من أمره غضب ، فذاك في الدرك الرابع من النار .

« ومن العلماء » من يطلب احاديث اليهود والنصارى ليعزز به ويكثر به حديثه ، فذاك في الدرك الخامس من النار .

« ومن العلماء » من يضع نفسه للفتيا ويقول سلوني ولعله لا يصيب حرفاً واحداً والله لا يحب المتكلفين ، فذاك في الدرك السادس من النار .

« ومن العلماء » من يتخذ علمه مروة وعقلاً فذاك في الدرك السابع من النار .

وطبقات جهنّم هذه انما اعدّت لمثل هؤلاء لانهم ـ من خلال ثقة الناس بهم واجلالهم لعلمهم ـ يؤثرون في المجتمع سلباً اكثر مما يؤثر غيرهم . اذ لو فسد العالِم ، فسدَ العالَم .

التدوين والتأليف

ومن النقاط البارزة في الحياة العلمية ، للامام الصادق (عليه السلام) ، أو قل النظرة المستقبلية الجادة ، التي عرف بها الامام

(عليه السلام) ، انه كان يأمر تلامذته بتدوين ما يسمعون ويتعلمون ، حتى لا تضيع هذه المعارف الجمّة ، والاسس المحكمة ، بين طيّات التاريخ ، وليبقى منها ـ على الأقل ـ بقية ينهل منها المؤمنون على مرّ الدهور والحقب .

من هنا نبغ في مدرسة الامام (عليه السلام) ، كُتّابٌ ومدونون كبار ، استثمروا عصر النهضة العلمية التي عاصروها ، وجلبوا اعجاب العالم ، إذ تبارت فيه يراعاتهم ، وتسابقت أقلامهم ، وتابعهم على ذلك علماء الامة ، منذ عهد الصادق (عليه السلام) ، حتى يومنا هذا .

وقد لا نتجاوز الحقيقة ، لو قلنا بأن هذه الصفة (صفة التدوين) تميّز بها علماء الشيعة حتى صارت من أبرز معالم التشيّع .

ولا ننفي ان علماء السنة كتبوا أيضاً ، انما توسع اهل العلم من الشيعة في الكتابة والتدوين ، متبعين بذلك الاسلوب الذي فرضه عليهم إمامهم جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) ، فلم يدعوا كبيرة ولا صغيرة إلاّ ودوّنوها .

بعد شهادة الامام الصادق سنة ١٤٨ هـ شرع أتباعه وتلامذته بتدوين ما حصلوا عليه من العلوم عن طريقه . ومن جملتها : (الاصول الأربعمائة) . وهي أربعمائة مصنف لاربعمائة مصنف من فتاوى الامام الصادق (عليه السلام) ، ومنها الكتب الأربعة التي عليها مدار العلم والعمل ، بل هي المرجع للشيعة والاسس في الاصول والفروع إلى اليوم وهي (الكافي) و(من لا يحضره الفقيه) و(التهذيب) و(الاستبصار) .

(والكافي) للكليني أبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني قدّس سرّه - وهو أحسن الكتب الأربعة وأقومها واحسنها وأتقنها ، فيه (١٦١٩٠) حديثاً ألّفه الكليني في عشرين سنة .

وأما كتاب (من لا يحضره الفقيه) فهو لابن بابويه القمّي - محمد بن علي بن موسى بن بابويه القمّي ، الملقب (بالصدوق) رضوان الله عليه .

دخل بغداد سنة (٣٥٠) هـ ومات بالري سنة (٣٨١) ، وقد جمع في كتابه هذا (٥٩٦٣) حديثاً وهو من اهمّ مؤلفاته .

وأما كتابي (التهذيب) و(الاستبصار) فوضعهما بعد نحو قرن الشيخ الطوسي (محمد بن الحسن بن علي الطوسي) « رضوان الله عليه » الملقب بـ (شيخ الطائفة) وكان فقيهاً في مذهبي الشيعة والسنّة .

وقد جمع من الاحاديث في كتابه التهذيب (١٣٥٩٠) حديثاً وفي الاستبصار (٥٥١١) حديثاً .

دخل الطوسي بغداد سنة (٤٠٨)هـ واستقر بها في أيام الشيخ المفيد ، محمد بن النعمان (رضوان الله عليه) وتتلمذ على يده مدَّة ، ثم انتقل بعد موته للشريف المرتضى (رضوان الله عليه) ، فنجب في مدرسة الشرف وفي (دار العلم) التي أنشأها . وكان يُجري عليه اثني عشر ديناراً في الشهر طوال ملازمته له حتى وفاة المرتضى . وانتفع بكتب المرتضى ، والكتب التي حوتها مكتبته ، فألف في كل علوم الاسلام ، واجتهد الاجتهاد المطلق ، فكان حجّة في فقه الشيعة والسنّة .

ومن أجلّ آثاره تدريسه في مجالسه وأماليه بالنجف الأشرف، بجوار مشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه الصلاة والسلام) ، فكان بذلك فاتح عصر العلم بالنجف الاشرف .

فالطوسي ، والشريفان الرضي والمرتضى ، والشيخان المفيد والصدوق والكليني (رضوان الله عليهم اجمعين) ، قد وصلوا ما انقطع من التأليف منذ عصر الامام الصادق (عليه السلام) حتى منتصف القرن الخامس ، ليستمر التيار في التدفق .

والشريفان في مدرسة جدّهما صنوان ، أبوهما أبو أحمد الموسوي (نسبة الى جدّه الامام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام)) ، وفيه يقول ابن أبي الحديد ، شارح نهج البلاغة .

الشريف الرضي : كان أبوهُ (أبو أحمد) جليل القدر ، عظيم المنزلة في دولة بني العباس وبني بويه ، ولقب (بالطاهر ذي المناقب) ولي نقابة الطالبيين عدة دفعات ، كما ولي النظر في المظالم ، وحجّ بالناس مراراً على الموسم .

والشريف الرضي (٣٥٨ ـ ٤٠٦) هو شاعر العربية الشهير وجامع (نهج البلاغة) الحاوي لخطب وكلمات أمير المؤمنين (عليه الصلاة وعليه السلام) . تولى نقابة الطالبيين في حياة أبيه ، ومن بعده ، وتولى النيابة عن الخليفة العباسي .

فهذه ولاية ينفرد بها في التاريخ ، تجمع بين نقابة الطالبيين ونيابة الخلافة العباسية السنيّة .

وللشريف الرضي تآليف عظيمة في تفسير القرآن منها :

(تلخيص البيان في معجزات القرآن) و(حقائق التأويل ومتشابه التنزيل) و(معاني القرآن) ، ومنها أيضاً (مجازات الآثار النبوية) و(خصائص الأئمة) .

وأما الشريف المرتضى (علم الهدى) (رضوان الله عليه)، فيقول عنه الثعالبي في (يتيمة الدهر) وهما متعاصران(انتهت الرياسة اليوم ببغداد الى المرتضى في المجد والشرف والعلم والادب والفضل والكرم ، وله شعر نهاية في الحُسن : ومؤلفاته كثيرة ، منها : (أمالي المرتضى ، الشافي ، تنزيه الأنبياء ، المسائل الموصولية الأوله ، مسائل اهل الموصل الثانية ، مسائل أهل الموصل الثالثة ، المسائل الديلمية ، المسائل الطرابلسية الاخيرة ، المسائل الحلبية الأولة ، المسائل الجرجانية ، المسائل الصيداوية) وتآليف اخرى كثيرة في الفقه ورفض القياس ، وقد شرح تلميذه الطوسي اكثر من مؤلف له .

ومن أعظم آثاره إنشاء (دار العلم) ببغداد ورصده الاموال عليها واجراؤه العطاء على التلاميذ وإطعامهم وإسكانهم ، وكان يتبع (دار العلم) هذه مكتبةٌ تحوي اكثر من ثمانين ألف مجلد من الكتب المتنوعة .

وحسبه أن يكون الطوسي من تلاميذه .

وفي آثار هذا السلف العظيم ، تتابع ركب العلماء والمؤلفين الفحول يخلدون فقه الاسلام وعلوم آل محمد (صلوات الله عليهم اجمعين .

مجلس الامام : (المناقشة العلمية والنقد البنّاء)

كان تلاميذ الصادق (عليه السلام) يعبرون عنه (بالعالم) فإذا رووا عنه حديثاً أو خبراً قالوا : قال العالم .

وكثيراً ما يدع تلاميذه يخوضون في النقاش والتباحث في مواضيع علميه شتّى ، ويُقبل عليهم ويصغي إليهم ، وربما تدخل فيما بينهم ، أو نبَّههم إلى مواطن الصحة والسقم في البحث العلمي ، وكان (عليه السلام) يصنعهم بعينه .

يفد على المدينة وافد من الشام ، فيعدوا الى مجلس (العالم)

يناقشهم في (وجوب تنصيب الامام) فيتجارون في جداله حتى يسلم لهم ، ثم يعلق الامام الصادق (عليه السلام) ، على طريقتهم ، أو قدرتهم فيقول لحمران بن أعين :

« تجري الكلام على الأثر فتصيب » ثم يلتفت لهشام بن سالم فيقول له :

« تريد الأثر ولا تعرفه » ويلتفت الى مؤمن الطاق ويقول :

« قياس رواغ تكسر باطلاً بباطل ، لكن باطلك اظهر » ويقول لقيس الماصر :

« تتكلم واقرب ما تكون الى الخبر عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، أنت والاحول قفازان حاذقان » .

وأخيراً يقول لهشام بن الحكم : « يا هشام ، لا تكاد تقع ، تلوي رجليك ، إذا هممت بالأرض طرت ، مثلك يكلّم الناس ، فاتق الزلّة» .

ولقد يلاحظ المرء من ذلك تعدد طرقهم ، وتفاوت علمهم ، ونفاذ بصر الامام الى خصائصهم ، ودوره في تصويب وتدريب كل منهم ، وهو لا يتركهم دون تشجيع ، يشير الى زرارة بن أعين وبريد العجلي وأبي بصير المرادي ومحمد بن مسلم فيقول : « لولا هؤلاء لانقطعت آثار النبوة واندرست » .

وكان في أسرة زرارة ، الحفاظ المدققون ، يتصدرهم تلميذا الامام (عليه السلام) ، الحسن والحسين ولدا زرارة ، والامام (عليه السلام) ، يهب الاسرة جلال الذكرى في التاريخ فيقول : « لولا اسرة زرارة ونظرائه لانقطعت احاديث أبي » .

وكان (عليه الصلاة والسلام) ، يعظم العلم والعلماء من خلال تعظيمه لبعض العلماء الافذاذ من تلاميذه .

* فأبان بن تغلب ـ يقول له الصادق (عليه السلام) « ناظر أهل المدينة فانا احب أن يكون مثلك من رواتي ورجالي » ، وكان إذا دخل على الصادق (عليه السلام) ، عانقه وامر بوسادة تثنى له ، واقبل عليه بكله ، ولما مات قال (عليه السلام) : أما والله لقد أوجع قلبي موت أبان !!

روىٰ عن الصادق (عليه السلام) ، ثلاثين ألف حديث ! وهو ـ بهذه المثابة ـ شاهد على التعاقب والاستمرار والشمول في علم أهل البيت (صلوات الله عليهم اجمعين) .

يعرف الشيعة بأنهم ، « الذين إذا اختلف الناس اخذوا بقول عليّ (عليه السلام) وإذا اختلف الناس عن عليّ (عليه السلام)

اخذوا بقول جعفر بن محمد (عليه السلام) . وهو القائل في جعفر بن محمد (عليه السلام) « ما سألته عن شيء إلا قال : قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) » .

كان إذا جلس بالمسجد ، تقوضت له الحلق ، واخليت له سارية النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، فيجيئه الناس يسألونه فيجيبهم بمختلف الأقوال ، ثم يذكر قول اهل البيت (عليهم السلام) ويورد حججه .

من أجل هذا المنهج في التدريس ، كان الصادق (عليه السلام) يوصي تلاميذه أن يعبوا من منابعه !

يقول لأبان بن عثمان : أيتِ أبان فإنه سمع عنّي ثلاثين ألف حديث ، فاروها عنه ، فهو لا يتردد في تفضيله حتى ليجعله طبقة بينه وبين سميهِ في الرواية عنه .

وقد احتج بحديثه مسلم بن الحجاج في صحيحه ، واصحاب السنن الأربعة ، وروى عنه سفيان بن عيينة شيخ الشافعي ، وله كتب شتّى منها كتاب في الاصول .

* ومؤمن الطاق : أبو جعفر (محمد بن علي بن النعمان) الاحول الكوفي ، الصيرفي ، عالم ثقة ، كان كثير العلم ، حسن الخاطر ، قويّ الحجّة ، شديد العارضة ، سريع الجواب ، نبيه الخاطر ، ذكي القلب ، وهو في طليقة متكلمي الشيعة الإمامية .

سمّاه خصومه (شيطان الطاق) لعبقريته والمناظرات التي كانت تدور بينه وبينهم فيفحمهم ، والامام الصادق (عليه الصلاة والسلام)

يناديه (يا طاقي) أو (يا صاحب الطاق) .

كان مناظراً لا يشق له غبار ، رآه تلميذ آخر للامام الصادق (عليه السلام) يناظر ، وأهل المدينة يضيقون بمناظراته ، حتى قطعوا عليه آراءه ، وهو لا ينكف عن الجدل ، فنبهه على ان الامام (عليه السلام) ينهى تلاميذه عن الكلام ، فالتفت اليه وقال :

أوأمرَكَ أن تقول لي ؟

قال : لا ، ولكنه أمرني أن لا أكلم أحداً .

قال : اذهب فأطعه فيما أمرك .

وسمع الصادق (عليه السلام) بالواقعة من التلميذ فتبسّم ، وقال له : ان صاحب الطاق يكلم الناس فيطير ، اما انت إن قصوك لن تطير .

ويروى أنه ناظر زيد بن علي في إمامة الصادق (عليه السلام) .

كان أبو حنيفة يأخذ عليه (بالرجعة) وهو يأخذ على أبي حنيفة بالقول (بالتناسخ) . تلاقيا في السوق يوماً ومع صاحب الطاق ثوب يبيعه .

قال أبو حنيفة : أتبيعه الى حين رجعه ؟

قال : إن اعطيتني كفيلاً أن لا تمسخ قرداً .

ولما استشهد الصادق (عليه الصلاة والسلام) ، قال له أبو حنيفة : مات إمامك ، فأجابه : لكن إمامك لا يموت الى يوم

القيامة ! ويريد إبليس لعنه الله .

* وهشام بن الحكم : نشأ بالكوفة ، ودخل بغداد للتجارة ، واستقر بها ، ولزم الامام الصادق (عليه السلام) ثم صار خصيصاً بالامام الكاظم (عليه السلام) .

يقول عنه ابن النديم : هو من جلّة اصحاب جعفر ، وهو من متكلّمي الشيعة ، ممن فتقوا الكلام في « الإمامة » .

عمل مدة من الزمان قيماً بمجالس الكلام ، عند يحيى بن برمك وزير الرشيد ، وكان أول امره من اصحاب جهم بن صفوان ، ثم انتقل الى القول بالامامه في شبابه .

وكان الصادق (عليه السلام) يدعو له « لا تزال مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك » .

وهشام بن الحكم ، هو الذي يقول : (ما رأيت مثل مخالفينا ، عمدوا إلى من ولاه الله من سمائه ، فعزلوه ، والى من عزله الله من سمائه فولوه » يقصد تبليغ عليّ (عليه السلام) سورة البراءة بدلاً من أبي بكر ، وقول جبرائيل ـ للرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) : لا يؤديها عنك الا انت أو رجل منك .

كان إذا قصد إفحام معارضيه ، لم يثبت أمامه رجل .

سمعه الرشيد في بعض المجالس التي كانت تعقد عند يحيى بن برمك وكان يحضرها من وراء ستر ، فقال : « إن لسان هشام أوقع في النفوس من ألف سيف » .

ولما فتك الرشيد بالبرامكة ، طلب هشاماً ، فاختفى ، فأخذ به

خلقاً كثيراً ، ثم اطلقهم بعد أن علم بموته مستتراً .

ومن وصية الامام الصادق (عليه السلام) له قوله : « يا هشام من أراد الغنى بلا مال ، وراحة القلب عن الحسد ، والسلامة في الدين ، فليفزع الى الله في مسألته إن كان له عقل ، فمن عقل قنع بما يكفيه ، ومن قنع استغنى ، ومن لم يقنع لم يدرك الغنى أبداً . . يا هشام كما تركوا لكم الحكمة ، اتركوا لهم الدنيا . . العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه ، إن الزرع ينبت في السهل ، من احب الدنيا ذهب خوف الآخرة من قلبه » .

وكان الامام (عليه السلام) ، لا يكف عن تشجيعه ، فيستعيده رواية ما وقع منه مع عمر بن عبيد زعيم المعتزلة ، ويستحي هشام ـ فيقول له الامام : « إذا امرتكم بشيءٍ فافعلوا » فيقول هشام :

« بلغني ما كان فيه عمر بن عبيد ، وجلوسه في مسجد البصرة ، فعظم ذلك عليّ ، فخرجت اليه ودخلت البصرة يوم الجمعة ، وأتيت المسجد وإذا بحلقة عظيمة فيها عمر . . والناس يسألونه . . فقعدت في آخر القوم على ركبتي ، ثم قلت :

أيّها العالم ، اني رجل غريب ، أتأذن لي في مسألة . . قال : نعم .

قلت : ألك عين ؟

قال : نعم .

قلت : ألك أنف ؟

قال : نعم .

قال : ألك لسان ؟

قال : نعم .

قلت : ألك أذن ؟

قال : نعم .

قلت : ألك قلب ؟

قال : نعم .

قلت : فما تصنع به ؟

قال : أميّز به كل ما ورد على هذه الجوارح والحواس .

قلت : أوليس في هذه الجوارح غنىً عن القلب ؟

قال : لا .

قلت : لا بدّ من القلب ، والا لم تستيقن الجوارح ؟

قال : نعم .

فقلت : يا أبا مروان ـ والله تعالى لم يزل[1] جوارحك حتى جعل لها إماماً يصحح لها الصحيح ، وتتيقن به مما شكّت فيه، ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكّهم واختلافهم ، لا يقيم لهم اماماً يردون إليه شكّهم وحيرتهم ، ويقيم لك إماماً لجوارحك ترد إليه شكّك وحيرتك ؟

---

(١) لم يزل : لم يَدع.

فسكت . . . ثم التفت إليَّ وقال : أنت هشام بن الحكم .

فضحك الامام (عليه السلام) وقال : من علّمك هذا ؟ قال : شيء اخذته منك . قال : « هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى » .

بلغت مؤلفات هشام سبعة عشر مؤلفاً منها كتاب (الإمامة) و (الوصية والرد على من يطلبها) و(كتاب الحكمين) .

* ومن الرواد الأوائل والمخضرمين في دار الامام الصادق (عليه الصلاة والسلام) ، المفضل بن عمر، أبو عبد الله الجعفي ، صاحب التوحيد المعروف (بتوحيد المفضّل) الذي أملاه الصادق (عليه السلام) عليه .

قال الشيخ المفيد في الارشاد : ممن روى النص عن أبي عبد الله (عليه السلام) على ابنه أبي الحسن موسى (عليه السلام) ، من شيوخ اصحاب أبي عبد الله ، وخاصته وبطانته ـ وثقاته الفقهاء الصالحين ، رحمهم الله .

وإضافة الى ما ظفر به المفضل من الفضائل ، فقد حاز بالوكالة عن الامامين (عليهما السلام) ، يجمع لهما حقوق الاموال ، ويصلح ما بين الناس من اموالهما ، ويداري الضعفاء امتثالاً لامرهما ، وقد اعتمده الصادق (عليه السلام) في هذه المهمة الكبرى .

وفي وصية قال له الصادق (عليه السلام) :

« أُوصيك ونفسي بتقوى الله وطاعته ، فان من التقوى الطاعة والورع والتواضع لله ، والطمأنينة والاجتهاد ، والأخذ بأمره ،

والنصيحة لرسله ، والمسارعة في مرضاته ، واجتناب ما نهى عنه ، فان من يتق الله فقد احرز نفسه من النار بإذن الله ، واصاب الخير كله في الدنيا والآخرة ومن أمر بتقوى الله فقد أفلح الموعظة جعلنا الله من المتقين برحمته » .

* .وجابر بن حيّان الكوفي ـ أول من استحق في التاريخ لقب كيميائي ، كما تسميه أوروبا المعاصرة ، ويشير اليه الرازي فيقول : (استاذنا أبو موسى جابر بن حيان) واكثر المؤرخين يتفقون على تلمذته للامام الصادق (عليه الصلاة والسلام) ، وعلى صلته أو تأثّره به في العلم والعقيدة .

يقول في كتابه الحاصل : (ليس في العالم شيء الا فيه من جميع الأشياء ، والله لقد وبخني سيّدي « يقصد الامام الصادق (عليه السلام) » على عملي فقال : والله يا جابر ، لولا اني اعلم أن هذا العلم لا يأخذه عنك الّا من يستأهله ، واعلم علماً يقيناً انه مثلك ، لأمرتك بإبطال هذه الكتب من العلم » .

وكانت كتب رياضة وكيمياء تسبق العصور بجدتها .

وهو يشير الى الامام (عليه السلام) دائماً بقوله « سيّدي » ويحلف به ، ويعتبره مصدر الإلهام له .

يقول في مقدّمة كتابه الاحجار (وحق سيدي لولا أن هذه الكتب باسم سيّدي (صلوات الله عليه) لما وصلت اليَّ حرف واحد من ذلك الى الأبد .

ذكر له المستشرق (كراوس) ناشر كتبه في العصر الحديث ،

أربعين مؤلفاً ، واضاف ابن النديم عشرين كتاباً ، وينقل ابن النديم قوله :

(ألّفت ثلثمائة كتاب في الفلسفة ، وألفاً وثلثمائة رسالة في صنائع مجموعة ، وآلات الحرب ، ثم ألّفت في الطبّ كتاباً عظيماً ، ثم ألّفت كتباً صغاراً وكباراً ، وألّفت في الطب نحو خمسمائة كتاب ، ثم ألّفت في المنطق على رأي أرسطاليس ، ثم ألّفت كتاب الزيج أيضاً نحو ثلثمائة ورقة ، ثم ألّفت كتاباً في الزهد والمواعظ وألّفت كتباً في العزايم كثيرة حسنة ، وألّفت في الأشياء التي يعمل بخواصها كتباً كثيرة ، ثم ألّفت بعد ذلك نحو خمسائة كتاب نقضاً على الفلاسفة ، ثم ألّفت كتاباً في الصنعة يعرف بكتب الملك . وكتاباً يعرف بالرياض) .

استحصال العلم لله

ولا ينسى الامام الصادق (عليه السلام) أن ينبّه على موضوع بالغ الاهمية ، وهو تزكية النفس قبل التعلم ، فالتُّقى والاخلاق أولاً ، ثم العلم ، فلا أثر لعلم بغير تقىٰ ، ولا ثمر لدين بغير علم، وان المرء ليسموا بجناحين الى أرقى المراتب هما (التقى والعلم) ، وكلما تعمّق في هذين البعدين معاً ، ازداد نبلاً وشرفاً وفضلاً .

والرؤية العامة للعلم في قاموس آل محمد (صلوات الله عليهم اجمعين) لا تكتمل الا مقرونة بالورع والإيمان والاخلاق الفاضلة .

ومما سبق عرفنا كيف يؤكد الامام الصادق على الفضيلة والتقىٰ

الحكومات تتعاهدهم بالعسف والظلم والجور ، طوال تاريخهم المشرق فأصواتهم لا تُسمع ، وافكارهم لا تصل الى الناس ، وحقائقهم لا تظهر وبالنتيجة ـ جهلت الامة فضلهم وضيعت قدرهم .

يبعث المنصور الى الامام الصادق (عليه السلام) قائلاً :

« لم لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس ؟ »

فيردُّ عليه الامام : ليس لنا ما نخافك من اجله ، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له ، ولا أنت في نعمه فنهنئك ولا تراها نقمة فنعزيك بها ، فما نصنع عندك ؟

فكتب إليه المنصور : تصحبنا لتنصحنا .

فأجابه الامام : من أراد الدنيا لا ينصحك ، ومن أراد اخرة لا يصحبك .

فقال المنصور : والله لقد ميَّز عندي منازل الناس من يريد الدنيا ممن يريد الآخرة ، وانه ممن يريد الآخرة .

فالامام (عليه السلام) يعتبر ما في يد المنصور من حكومة على الناس نقمة ! وليس نعمه ، وليس عنده من امر الآخرة شيء أبداً .

وأي نقمةٍ اشد مما كان عليه المنصور ؟ من قتل الانفس البريئة ، وسفك الدماء الطاهرة من آل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) وذراري عليّ وفاطمة ، وأي نقمة اشد من غدرة لاعوانه وفتكه باصحابه ؟ وحتى بأهل بيته من العباسيين .

محمد : وترزقني من علمه ما اهتدي به الى صراطك المستقيم .

ورجعت الى داري مغتمّاً ، ولم اختلف الى مالك بن أنس لما أُشربَ قلبي من حبّ جعفر ، فما خرجت من داري الا الى الصلاة المكتوبة حتى عيل صبري ، فلما ضاق صدري تنعّلت وترديت وقصدت جعفراً ، وكان بعدما صلّيت العصر ، فلما حضرت باب داره ، استأذنت عليه فخرج خادم له فقال : ما حاجتك ؟

قلت : السلام على الشريف .

فقال : هو قائم في مصلاّه .

فجلست بحذاء بابه ، فما لبثت إلا يسيراً إذ خرج خادم فقال : ادخل على بركة الله ، فدخلت وسلّمت عليه ، فردّ السلام وقال : اجلس غفر الله لك ، فجلست ، فاطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال :

أبو من ؟

قلت : أبو عبد الله .

قال : ثبت الله كنيتك ووفقك ، يا أبا عبد الله ما مسألتك ؟ فقلت في نفسي : لو لم يكن لي من زيارته والتسليم غير هذا الدعاء لكان كثيراً . ثم رفع رأسه ثم قال : ما مسألتك ؟

قلت : سألت الله أن يعطف قلبك عليَّ ، ويرزقني من علمك وأرجو الله تعالى أن يكون قد اجابني في الشريف ما سألته .

فقال : يا أبا عبد الله ليس العلم بالتعلم ، انما هو نورٌ يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه ، فان أردت العلم فاطلب

أولاً في نفسك حقيقة العبودية ، واطلب العلم باستعماله ، واستفهم الله يفهمك .

قلت : يا شريف .

قال : قل يا أبا عبد الله .

قلت : يا أبا عبد الله ، ما حقيقة العبودية ؟

قال : ثلاثة أشياء : أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوّله الله ملكاً ، لأن العبيد لا يكون لهم ملك ، يرون المال مال الله ، يضعونه حيث أمرهم الله به ولا يدبر العبد لنفسه تدبيراً ، وجملة اشتغاله فيما أمره تعالى به ونهاه عنه ، فاذا لم يرَ العبد لنفسه فيما خوّله الله تعالى ملكاً ـ هان عليه الانفاق فيما أمره الله تعالى أن ينفق فيه ، واذا فوَّضَ العبدُ تدبيرَ نفسه على مُدبّره هانت عليه مصائب الدنيا ، واذا اشتغل العبد بما أمره الله تعالى ونهاه لا يتفرغ منهما الى المراء والمباهاة مع الناس ، فاذا اكرم الله العبد بهذه الثلاثة هانت عليه الدنيا ، وابليس ، والخلق .

ولا يطلب الدنيا تكاثراً وتفاخراً ، ولا يطلب ما عند الناس عزّاً وعلواً ، ولا يدع أيامه باطلاً ، (فهذه أول درجة التقى) .

قال الله تعالى : **﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾**[1] .

قلت : يا أبا عبد الله أوصني .

---

(١) آية (٨٣) سورة القصص.

قال : أُوصيك بتسعة أشياء ، فانها وصيتي لمريدي الطريق الى الله تعالى ، والله أسأل أن يوفقك لاستعماله ، ثلاثة منها في رياضة النفس ، وثلاثة منها في الحلم ، وثلاثة منها في العلم ، فاحفظها وإياك والتهاون بها .

قال عنوان : ففرغت قلبي له .

فقال (عليه السلام) : اما اللواتي في الرياضة[1] : فإياك أن تأكل ما لا تشتهيه فانه يورث الحماقة والبله ، ولا تأكل إلّا عند الجوع ، واذا اكلت فكل حلالاً وسمّ الله ، واذكر حديث الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) : « ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه ، فان كان ولابد مثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه .

وأمّا اللواتي في الحلم : فمن قال لك : إن قلت واحده سمعت عشراً فقل : إن قلت عشراً لم تسمع واحدة ! ومن شتمك فقل له إن كنت صادقاً فيما تقول فأسأل الله أن يغفر لي ، وإن كنت كاذباً فيما تقول فأسأل الله أن يغفر لك ، ومن وعدك بالخنى[2] فعده بالنصيحة والدعاء .

وأمّا اللواتي في العلم : فاسأل العلماء ما جهلت ، وإياك أن تسألهم تعنّتاً وتجربة ، وإياك أن تعمل برأيك شيئاً ، وخذ بالاحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلاً ، واهرب من الفتيا هربك من الاسد ، ولا تجعل رقبتك للناس جسراً .

---

(١) الرياضة : تهذيب الأخلاق النفسية .

(٢) الخنى : الفحش في الكلام .

قم عنّي يــا أبـا عبــد الله ، فقـد نصحت لــك ، ولا تفسـد عليَّ وردي ، فإني امرؤٌ ضنين بنفسي ، والسلام على من اتّبع الهدى .

« إنّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارِمَ الأخلاق »

ـ حديث شريف ـ

مدرسة الأخلاق



أشرنا في الباب السابق حين الحديث عن العلم والعلماء الى أن العلم ، لا يراد منه الا الإصلاح (إصلاح شؤون الدنيا والآخرة) من هنا ـ ينبغي أن يكون مسبوقاً بالإيمان والورع ، مقروناً بالاخلاق الحميدة والخلال الحسنة .

والاسلام ـ الذي يقوم على أساس الاصلاح ـ يحصر علّة البعثة النبوية الشريفة في إتمام مكارم الاخلاق ونشر القيم الفاضلة . يقول الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) : « إنّما بُعِثْتُ لأتَمِّمَ مكارِمَ الأخلاقِ » .

ويدع القرآن الكريم كل خصاله الحميدة ، وقيمه النبيلة ـ ليُشيد باخلاقه الفاضلة الكريمة حيث يقول عزّ من قائل : ﴿**وإنّك لَعَلىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[1] ، ويقول (صلّى الله عليه وآله وسلم) : « عليكم بحُسن الخلق فان حسن الاخلاق في الجنة لا محالة ، وإياكم وسوء الخلق فان سيّء الاخلاق في النار لا محالة » .

ولو غُفِرت للمرء كلُّ سلبياته وعثراته ، فلا يغفر له سوء الخلق ، والتربية الاخلاقية اهم وأولى من التربية العلمية ، .

---

(١) القلم آية (٤).

والقرآن الكريم يقدم تزكية النفوس وتربية الاخلاق على العلم فيقول : ﴿**هو الذي بعث في الاميين رسولاً منهم ، يتلو عليهم آياتِهِ ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضَلالٍ مُبين**﴾[1] .

وإن من أهمّ مقومات الاصلاح في الامة ، والذين يتصدّون لهذه المهمة الكبرى من علماء ومصلحين ، التحلّي بالأخلاق الفاضلة والنفسية العالية .

ولم ينهض الامام الصادق (عليه الصلاة والسلام) بمهمةِ تركيز دعائم الاخلاق في المجتمع فحسب ، بل أسَّس لذلك مدرسة كبرى خالدة . وسوف نجده كيف يولي اهتماماً بالغاً بهذا الجانب من حياة الناس ، شأنه في ذلك شأن آبائه الطاهرين من أئمة الهدى (صلوات الله عليهم اجمعين) . الذين جرت الاخلاق السامية في نفوسهم مجرى الدم في العروق ، حتى صارت ملكاتهم التي تميّزوا بها عن سائر الناس .

في صفين ، يستولي اصحاب معاوية على مشرعةِ الفرات ويمنعوا الماء عن عليّ (عليه السلام) وأصحابه، ويُذيقونهم حرارة العطش ثلاثة أيام ، ثم تدور الدوائر على أهل البغي ، ويتحمّس أصحاب الامام (عليه السلام) للذود عن شرف الموقف ويفرقوا أصحاب معاوية عن الماء ويملكون الشريعة . ويبادر اصحاب الامام (عليه السلام) بالاقتراح عليه أن يفعل بهم ما فعلوه ، ويقطع عنهم الماء كما قطعوه فيرفض الامام

---

(١) آية (٢) الجمعة .

بشدة ، وينهى عن ممارسة الخسّة والدناءة ، حتى مع العدوّ المقاتل ويقول : « اننا نقاتل الاكفاء ، فما بال الضعفاء ؟ » .

وسليله الحسين بن علي ، سيّد الشهداء (عليه السلام) ، يلتقي في الفلاة بجيش (الحرّ بن يزيد الرياحي) الذي جاء لصدّه وارعابه والجعجعة بأهله وصبيته ونساءه . ولكن الحسين (عليه السلام) ، يقابل الاساءة بالاحسان ـ حين يلاحظ عليه وعلى أصحابه وخيولهم آثار العطش الشديد ، فيأمر بسقيهم ويقول (عليه السلام) : « اسقوهم ورشفوا الخيل ترشيفاً » هكذا !! قبل أن يدخل معهم في أيّ حوار أو نقاش . يرفع عنهم حرارة العطش ويرويهم ثم يرى ماذا يريدون وما الذي جاؤوا من أجله .

وعلي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) ، يلتقي به شيخ من أهل الشام ، والامام بحالة يُرثى لها من الاسر والمعاناة ، شدت رجليه بالحديد على ظهر ناقة ، يسار به الى يزيد بن معاوية ، وقد اشاعت السلطة أن هذا ومن معه من النساء (خوارجُ شقّوا عصا المسلمين) .

يقف الشيخ ، ويأخذ بزمام ناقة الامام (عليه السلام) ويوجه له خطاباً عنيفاً ينم عن جهل بحقيقة الحال ، فيقول : الحمد لله الذي قتلكم وفضحكم ، واكذب احدوثتكم ، واراح العباد والبلاد منكم . . .

ويقابل الامام هذه الخشونة والغلظة بطيب الكلام ولين الاخلاق فيقول : يا شيخ هل قرأت القرآن ؟

ـ نعم ما أنت والقرآن

- يا شيخ ، هل قرأت : ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً الاّ المودّة في القربى**﴾ ؟

- نعم ، ما أنت وهذه الآية .

-- يا شيخ ، هل قرأت ﴿**وآت ذا القربى حقّه** . . .﴾

- نعم .

وذكر له الامام (عليه الصلاة والسلام) بعض آيات القربى ثم قال : يا شيخ والله نحن القربى !! فلما استيقن الشيخ وعلم ان هذا هو ابن رسول الله ثارت ثائرته ضدّ الحاكمين . . .

أجل ، هذه مدرسة آل البيت (عليهم الصلاة والسلام) ، وهذا من كرم اخلاقهم ومعالي صفاتهم ولقد تجمعت فيهم القيم الرفيعة والمثل العليا كلها ، فما اجدر بنا أن ننهل من هذا المعين العذب ، ونستنشق من هذا النسيم الطلق ، ونسير على هداهم ، ونستمد من نورهم ، فنتخلّق بأخلاقهم الفاضلة ، ونتعلّم في مدرستهم الكبرى .

انّنا بأمسّ الحاجة أن نصنع من أنفسنا شيعة لهم في السلوك والقيم ، والعمل الصالح ، والاخلاق العالية ، ولَنَحن اليوم احوج منّا من كل يوم الى الاخذ بمناهجهم وقيمهم ومثلهم ، فقد عرفتنا الدنيا وألِفَنا العالم . فلنكن - كما أمرونا - شيعة بالفعل لا بالقول ملتزمين بالاخلاق الفاضلة السديدة ، ولنكن زيناً لهم لا شيناً عليهم .

ولنقرأ عن الامام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) وعن سلوكه الذاتي أولاً ثم ننتقل الى الاسس والركائز الاخلاقية التي وضعها لاصلاح الاخلاق بين أفراد الامة .

يقول (عليه الصلاة والسلام) . عن مكارم الاخلاق :

« عليكم بمكارم الاخلاق فان الله عزّ وجلّ يحبها ، وإياكم ومذام الافعال فان الله عز وجل يبغضها ، وعليكم بتلاوة القرآن . . .

إلى أن قال عليه السلام : وعليكم بحسن الخلق فانه يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم ، وعليكم بحسن الجوار فان الله جلّ جلاله امر بذلك وعليكم بالسواك فانه مطهرة وسنّة حسنة ، وعليكم بفرائض الله فأدّوها ، وعليكم بمحارم الله فاجتنبوها » .

وقد ذكر المؤرخون والرواة عن اخلاقه (عليه الصلاة والثلاة). انه « لم يكن عيّاباً ، ولا سبّاباً ، ولا صخّاباً ، ولا طمّاعاً ، ولا خدّاعاً ، ولا نمّاماً ، ولا ذمّاماً ، ولا اكولاً ، ولا عجولاً ، ولا ملولاً ، ولا مكثاراً ، ولا ثرثاراً ، ولا مهذاراً ، ولا طعّاناً ، ولا لعّاناً ، ولا همّازاً ولا لمّازاً ، ولا كنّازاً » .

وحين كان الحديث عن سيرته الكريمة ، أشرنا الى نتفٍ من ميزاته وصفاته ، ولا نريد هنا أن نكرر ما اتصف بها هو (عليه الصلاة وعليه السلام) ـ انما نريد أن نستمع الى الدروس العملية والنظرية التي كان (عليه السلام) يلقيها على شيعته واصحابه في الاخلاق العالية . لعلّ الله يوفقنا للاتعاظ والاخذ بها ، وترجمتها الى عمل وسلوك في حياتنا العامة .

ويبدأ ـ حين يبدأ ـ بالاقربين فالاقربين فيعظهم قبل الآخرين ويهذبهم ويرشدهم الى مواطن الصحة والسقم في السلوك والاخلاق ، فيخاطب ولده قائلاً :

« يا بنيّ اقبل وصيتي واحفظ مقالتي ، فانك إن حفظتها تعش سعيداً ، وتمت حميداً .

يا بنيّ إن من قنع استغنى ، ومن مدَّ عينيه الى ما في يد غيره مات فقيراً ، ومن لم يرض بما قسمه الله له اتهم الله في قضائه ، ومن استصغر زلَّة نفسه استكبر زلَّة غيره .

يا بني من كشف حجاب غيره انكشفت عورته ، ومن سلّ سيف البغي قُتل به ، ومن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها ، ومن داخل السفهاء حقر ، ومن خالط العلماء وقر ، ومن دخل مداخل السوء اتُّهم .

يا بنيّ قل الحق لك أو عليك ، وإياك والنميمة فانها تزرع الشحناء في قولب الرجال . .

يا بني إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه ، فان للجود معادن وللمعادن اصولاً ، وللاصول فروعاً ، وللفروع ثمراً ، ولا يطيب ثمرٌ الا بفرع ، ولا اصل ثابت الا بمعدن طيب .

يا بني إذا زرتَ فزر الاخيار ، ولا تزر الاشرار ، فانهم صخرةٌ صمّاء لا ينفجر ماؤها ، وشجرة لا يخضر ورقها ، وارض لا يظهر عُشبها » .

ثم يخاطب شيعته من خلال احدهم وهو « أبو أسامة زيد بن يونس الشحام » بهذا الخطاب الذي لا يقل اهمية وحلاوة من الذي سبق فيقول (عليه الصلاة والسلام) :

« عليك بتقوى الله ، والورع ، والاجتهاد ، وصدق الحديث ،

واداء الامانة ، وحسن الجوار ، وحسن الخلق ، وكونوا دعاةً الى أنفسكم بغير ألسنتكم ، وكونوا زيناً ، ولا تكونوا شيناً ،

وعليكم بطول الركوع والسجود ، فان احدكم اذا اطال الركوع والسجود هتف إبليس من خلفه وقال : يا ويله اطاع وعصيتُ وسجد وأبيتُ » .

الإنفاق :

وهناك ركائز أساسية في سلوك الفرد المؤمن يعتبرها القرآن الكريم ، من الصفات المثلى والخلال الحميدة ، ويؤكد عليها الامام الصادق (عليه الصلاة والسلام) ويوصي بها أصحابه وشيعته ويلتزم بها قولاً وعملاً .

منها الانفاق ـ والانفاق في سبيل الله ، ولنقف لحظات مع التصوير القرآني العظيم أولاً لننظر كيف ينظر القرآن للمنفقين وكيف ينظر للمقترين .

ففي سورة البقرة يذكر الانفاق مرادفاً للإيمان والصلاة ، فيقول تبارك وتعالى : **﴿الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾**[1] .

ويقسم الناس الى قسمين ـ حال الموت ـ و يصفُّهم صفّين فمنهم صالح ومنهم طالح ، والمعيار في كونه صالحاً أو طالحاً ـ كما

---

(١) الآية (٣) البقرة .

في هـذه الآية ـ هـو الانفـاق في سبيـل الله ، فـالمنفقـون يخـرجـون من الـدنيا صـالحين مرضيين عنـد الله تبارك وتعـالى ، والـذين بخلوا وقتّـروا وامتنعـوا عن الانفاق يقـرّون على انفسهم ـ في حـال سكـرات المـوت ـ انهم لم يكـونوا صـالحين !! ويشعرون ـ في تلك اللحـظات الحـرجـة ـ بكابوس البخل يُثقـل على صـدورهم ، فيتمنّون على الله عــز وجـل أن يبعثهم الى الحيـاة مرّة اخـرى ـ ولو لسـاعة ليتصـدّقوا ويـدخلوا في عداد الصـالحين بالانفـاق والتصدق . يقـول القرآن الكـريم : **﴿وأنفقـوا ممـا رزقنـاكم من قبل أن يـأتي اَحدَكُمُ المـوتُ فيقولَ ربِّ لـولا اخّـرتني الى أجـلٍ قـريبٍ فَـاَصَّـدَّقَ واكن من الصـــالحين ، ولن يؤخّـر الله نفســاً إذا جاء أجلها ، والله خبير بما تعملون﴾**[1] .

ويشبّـه المال الـذي ننفقه ـ ممـا قلَّ أو كثـر ـ ببذرة صغيـرة حقيـرة تـدفن تحت التراب لتتحـول بعـد زمنٍ يسيـر الى شجـر وسنـابـل تحمـل مئات الحبات ، ويـظل خيرهـا متواصـلاً مستمراً الى مـا شاء الله كـذلك الانفـاق في سبيل الله **﴿مثـل الذين ينفقـون أموالهم في سبيـل الله كمثـل حبّـةٍ أنبتت سبع سنـابِلَ في كـلِّ سُنبُلَةٍ مائـة حَبَّة والله يُضـاعِف لمن يشاء والله واسِعٌ عليم﴾**[2] .

ولقد سجّل الـرواة والمؤرّخون لـلامام الصـادِق (عليه السـلام) ، مبـالغـةً في الانفـــاق حتى انـه كـــان لا يبقي لعيـالـــه شيء . ويقـول : « امتحنـوا شيعتنـا بثـلاث : عنـد مـــواقيت الصـلاة ، كيف محـــافـظتهم عليهـــا ، وعنـــد اســـرارهم كيف حفـــظهم لهـــا ، والى امـــوالهم كيف مواساتهم لاخوانهم فيها » .

---

(١) الآية (٩ ـ ١٠) المنافقون (٢) الآية (٢٦١) البقرة .

وعن مفضل بن قيس بن رمّانة قال : دخلت على أبي عبد الله فشكوت إليه بعض حالي وسألته الدعاء ، فقال : يا جارية ، هاتي الكيس الذي وصلنا به أبو جعفر ، فجاءت بكيس فقال : هذا كيس فيه أربعمائة دينار فاستعن به .

قلت : والله جعلت فداك ، ما أردت هذا ، ولكن أردت الدعاء لي .

فقال لي : ولا ادعُ الدعاء ، ولكن لا تخبر الناس بكل ما أنتَ فيه فتهون عليهم .

يعطي ، ويدعو ، ويقدم النصحَ أيضاً فينهاه أن يخبر الناس بكل ما هو فيه من ضعف وحاجة فيهون عليهم .

وعن هارون بن عيسى : يروي أن الإمام (عليه الصلاة والسلام) قال لأحد أولاده يوماً : كم فضل معك من تلك النفقة ؟ قال : أربعون ديناراً . قال : اخرج وتصدّق بها . قال : انه لم يبق معي غيرها ، قال : تصدّق بها، فان الله عز وجل يخلفها ، اما علمت أنَّ لكل شيء مفتاحاً ؟ ومفتاح الرزق الصدقة ! فتصدّق بها .

ففعل فما لبث أبو عبد الله الا عشرة أيام ، حتى جاءه من موضع أربعة آلاف دينار ، فقال : يا بنيّ أعطينا لله أربعين ديناراً فأعطانا الله أربعة آلاف دينار .

والصدقة :

ومن فروع الانفاق التصدق على الفقراء والمعوزين ودفع الضرّ

عنهم ، وإغاثتهم

عن علي بن اسباط ، عمَّن رواه ، عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: كان بيني وبين رجلٍ قسمةُ أرض، وكان الرجل صاحب نجوم وكان يتوخّى ساعة السعود فيخرج فيها ، واخرج انا في ساعة النحوس فاقتسمنا فخرج لي خير القسمين ، فضرب الرجل بيده اليمنى على اليسرى ثم قال : ما رأيت كاليوم قط ! اني صاحب نجوم اخرجتك في ساعة النحوس ، وخرجت أنا في ساعة السعود ، ثم قسمنا ـ فخرج لك خير القسمين .

فقلت : ألا أُحدِّثك بحديث حدّثني به أبي (عليه السلام) ، قال : قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : من سرَّه أن يدفع الله عنه نحس يومه فليفتتح يومه بصدقة ، يُذهِبِ الله بها عنه نحس يومه ، ومن احب أن يُذهب الله عنه نحس ليلته ، فليفتتح ليلته بصدقة ، يدفع الله عنه نحس ليلته ، فقلت : اني افتتحت خروجي بصدقة .

فهذا خير لك من علم النجوم !!

وروي عنه (عليه الصلاة والسلام : انه كان يتصدّق بالسكَّر فقيل له : أتتصدّق بالسكر ؟ فقال : نعم ، انه ليس شيءٌ احبُّ إليَّ منه ، فأنا احب أن أتصدّق بأحبِّ الأشياء إليّ .

وطالما حمل عليه السلام الجراب على ظهره ـ كما كان يفعل آباؤه الأئمة الطاهرون ـ يتفقد سراً بيوت الأرامل واليتامى والفقراء ويسعفهم بما تجود به يده الكريمة ، وليقتدي به شيعته واصحابه ويتبعوا خطاه .

العمل واكتساب الرزق :

وطبيعي أن الانفاق في سبيل الله والتصدق على الفقراء وسائر اعمال الخير لا تتم ، الا أن يكون المرء غنياً ، قادراً على الانفاق ، يملك ما ينفقه في طريق الخير ، اما ان يكون فقيراً في حدّ ذاته ، فلا يتسنّى له ـ حينئذ ـ أن يعطي الآخرين . لأنه لا يملك حتّى يعطي .

ولأن العمل قوّة الانتاج الكبرى ، وفرضٌ على المؤمن ليحيا كريماً في هذه الدنيا ، لا يجوع فيها ولا يعرى ، أو تجرفه القوى والتيارات أو يجرفه الفراغ واللهو ـ أو تفسده طراوة الدعة .

من هنا ـ كان الامام (عليه الصلاة والسلام) يشجع على الاكتساب والتجارة والعمل ، وينهى عن التقاعس والتهاون في الحصول على الرزق الحلال ، قال (عليه الصلاة والسلام : « لا خير فيمن لا يُحِبُّ جمع المال من حلال ، فيكفَّ به وجهه ، ويقضي به دينه » .

ويَصِفُ المؤمن على انه : « من طاب مسكنه وحسنت خليقته ووضحت سريرته ، وانفق الفضل من ماله ، وامسك الفضل من كلامه ، وكفى الناس شره ، وانصف الناس من نفسه . . » .

ويوصي (عليه الصلاة والسلام) : بالاجمال في الطلب ، وينادي بالحكمة في الانفاق ، فيقول : « ان السرفَ يورث الفقر وأن القصد يورث الغنى » .

ولم يكن الامام (عليه السلام) يرى بأساً في أن يمارس

الكسب والعمل والتجارة بنفسه ، ليكون قدوة للآخرين ، وليوجه انظار الناس للعمل في الحياة الدنيا .

وأي عيب في العمل ؟ ألم يكن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) يعمل بيده ؟ وجعل العمل عبادة ، واعطى اليد العاملة المؤمنة أماناً من النار ! وينبّه على قيمة الوقت واستثماره للعمل الدؤوب النافع فيقول (صلّى الله عليه وآله وسلم) : « إن قامت الساعة وفي يد احدكم فسيلة فليغرسها ، وان استطاع الاّ تقوم الساعة حتى يغرسها فليغرسها » .

وأمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام : ألم يضرب بالمسحاة في أرضه ؟ وعمل في أرض يهودي مزارعاً ، وكان (عليه السلام) يحمل التمر والبلح لأهله في ثوبه ويقول :

لا ينقص الكامل من كماله ما جرَّ من نفع على عياله

أما الصادق (عليه السلام) فانه يريد العمل لأسباب شتّى فهو يريده ليستغني عن الناس ، وليفضل له فضل فينفقه في سبيل الله وليشجع الناس عليه . .

يقول عبد الأعلى مولى آل سام : استقبلت أبا عبد الله في بعض طرق المدينة في يوم صائف شديد الحر .

فقلت : جعلت فداك ، حالك عند الله عز وجل ، وقرابتك من رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) وأنت تجهد نفسك في مثل هذا اليوم !

فقال : يا عبد الأعلى ، خرجت لطلب الرزق لأستغني عن

مثلك .

وعن اسماعيل بن جابر قال : أتيت أبا عبد الله (عليه السلام) ، وإذا هو في حائط له ، بيده المسحاة ، وهو يفتح بها الماء ، وعليه قميص شبه الكرابيس ، كأنّه مخيطٌ عليه من ضيقه .

وقد أعطى مرة ألفاً وسبعمائة دينار لبعض أصحابه ، وقال له اتّجر لي بها ، ثم قال : اما انه ليس لي رغبة في ربحها ، وإن كان الربح مرغوباً فيه ، ولكنّي احببت أن يراني الله عز وجل متعرضا لفوائده .

قال فربحت له فيه مائة دينار ، ثم لقيته فقلت له : قد ربحت لك فيها مائة دينار . قال : ففرح أبو عبد الله (عليه السلام) ، بذلك فرحاً شديداً . ثم قال : اثبتها في رأس مالي ، ثم تبرّع بها لفقير من أصحابه .

ولا بأس أن يجد العامل في عمله بعض مشقة ، فما هي الا زيادة في الفضيلة كما كان الصادق (عليه الصلاة والسلام) ، يتأذّى ـ أحياناً ـ في طلب المعيشة .

عن أبي عمر الشيباني قال : رأيت أبا عبد الله (عليه السلام) وبيده المسحاة ، وعليه ازارٌ غليظ يعمل في حائط له ، والعرق يتصابُّ عن ظهره ، فقلت : جعلت فداك اعطني اكفك .

فقال لي : اني احبُّ أن يتأذى الرجل بحرّ الشمس في طلب المعيشة !

وسأله بعض أصحابه أن يدعو الله له لئلاّ يجعل رزقه على

أيدي العباد ، فأجابه الامام (عليه السلام) :

« أبى الله عليك ذلك ، آلى الله إلّا أن يجعل رزقه على أيدي العباد ، بعضهم من بعض ، ولكن ادع الله أن يجعل رزقك على أيدي خيار خلقه فانه من السعادة ، ولا يجعله على أيدي شرار خلقه ، فانه من الشقاوة » .

ولان كان الإمام (عليه السلام) يرغَبُ ويُرغِّبُ في الاتجار والاكتساب فانه كان يؤكّد على الربح الطيب الحلال ، ويعترض بشدّة على ممارسة السبل الدنيئة في العمل ويحارب استغلال الناس والطمع والجشع ، وكان يعلم اصحابه ، ليختاروا القنوات المشروعة ، والسبل القويمة في الاكتساب والعمل .

فقد دعا مولىً له يقال له (مصادف) فأعطاه ألف دينار ، وقال له : تجهّز حتى تخرج الى مصر ، فان عيالي قد كثروا .

قال : فتجهّز بمتاع ، وخرج مع التجار الى مصر ، فلما دنوا من مصر ، استقبلتهم قافلة خارجة من مصر ، فسألوهم عن المتاع الذي معهم ، ما حاله في المدينة ؟ وكان متاع العامة ، فأخبروهم انه ليس بمصر منه شيء !

فتحالفوا وتعاقدوا على أن لا ينقصوا متاعهم من ربح دينارٍ ديناراً فلما قبضوا اموالهم ، انصرفوا الى المدينة ، فدخل مصادفُ على أبي عبد الله (عليه السلام) ، ومعه كيسان في كل واحد ألف دينار .

فقال : جعلت فداك ، هذا رأس المال ، وهذا الآخر ربح .

فقال عليه السلام : إن هذا الربح كثير ، ما صنعتم في المتاع ؟ فحدثه كيف صنعوا ، وكيف تحالفوا .

فقال : سبحان الله ، تحلفون على قوم مسلمين الا تبيعوهم الا بربح الدينار ديناراً ؟ ثم اخذ احد الكيسين وقال : هذا رأس مالي ولا حاجة لي في هذا الربح .

ثم قال : يا مصادف ، مجالدة السيوف ، أهون من طلب الحلال !

التقوى :

والتقوى التي هي رأس الحكمة ، وخلاصة العقل ، وركيزة الإيمان ، لا يدع الامام فرصة الا ويوصي بها أهله وشيعته وأصحابه ، فما من خطبة أو وصية الاّ ويبدأها بالتقوى وما من موطن الاّ ويغتنمه الامام ليوصي بالتقوى .

ولا تمييز في هذه النصيحة ، بين صغير وكبير وحاكم ومحكوم .

يوصي بها الناس عامهم وخاصهم ، ويلتزم بها أيّما التزام ، ويروّض أهله وخاصته عليها اشدَّ ترويض .

ويراها أساس كل فضيلة ، ويبدأ كل وصاياه وكتبه ورسائله بها تقريباً ، ولنستمع إليه عليه الصلاة والسلام يوصي شيعته من خلال وصيته الاخلاقية التي وجّهها الى أبي اسامة (زيد الشحام) وهو من خاصة أصحابه وتلامذته .

يقول (عليه السلام) : « اقرأ على من ترى انه يطيعني منهم ، ويأخذ بقولي السلام ، وأوصيكم بتقوى الله عز وجل والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث ، وأداء الامانة . . .

صلوا عشائركم ، واشهدوا جنائزهم ، وعودوا مرضاهم ، وادوا حقوقهم ، فان الرجل منكم اذا ورع في دينه وصدق الحديث وادى الامانة قيل : « هذا أدب جعفر » وإذا كان على غير ذلك ـ دخل علي بلاؤه وعاره وقيل : « هذا أدب جعفر » .

فوالله لحدثني أبي (عليه السلام) : أن الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة عليّ (عليه السلام) ، فيكون زينها ـ أدّاهم للأمانة ، وأقضاهم للحقوق ، وأصدقهم للحديث ، إليه وصاياهم وودائعهم . . . » .

وينهى عن الذنوب عامة ، ويحذر شيعته من تجاوز حدود الله بالاقتراب منها ، ويؤكد لهم على الورع عن محارم الله ، ويعلل بعض حالات الابتلاء والمصيبة التي تعرض للمرء ، كالمساءة التي تلحقه من السلطان ، والاسقام التي تعتريه ، او حبس الرزق عنه ـ مثلاً ـ يعللها جميعاً انها آثار للذنوب ، ونتائج محتومة للمعاصي والمحارم التي قد يربكها المؤمن احياناً فيقول مخاطباً المفضل بن عمر[1] :

« يا مفضل ، إياك والذنوب ، وحذرها شيعتنا ، فوالله ما هي الى احد اسرع منها اليكم ، وان احدكم لَتُصِيبُه المعَرَّة[2] من

(١) ذكرنا شيئاً من ترجمته في الصفحات السابقة .

(٢) المعرة : المساءة ، الاثم ، الاذى ، العيب . . .

السلطان وما ذلك الا بذنوبه ، وانه ليصيبه السقم وما ذلك الا بذنوبه ، وان ليحبس عنه الرزق وما هو الا بذنوبه ، وانه لَيُشدَّدُ عليه عند الموت وما ذاك الا بذنوبه ، حتى يقول من حضره : لقد غمَّ بالموت .

قال المفضل : فلما رأى ما قد دخلني قال :

أتدري لم ذاك ؟ قلت : لا .

قال : ذاك والله انكم لا تؤاخذون بها في الآخرة وعجلت لكم في الدنيا .

ويعرّف كبائر الذنوب لعمر بن عبيد[1] ، ويفصّلها له من خلال آي الذكر الحكيم .

فقد دخل على الامام الصادق (عليه السلام) وهو يقرأ **﴿والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش﴾**[2] ثم امسك .

فقال له أبو عبد الله (عليه السلام) : ما اسكتك ؟

قال : أحبُّ أن اعرف الكبائر من كتاب الله عز وجل .

قال : نعم يا عمر .

أكبر الكبائر الاشراك بالله ، يقول الله : **﴿ومن يشرك بالله فقد**

---

(١) عمر بن عبيد : عُدَّ من أصحاب الصادق (عليه السلام) ، وقال علمُ الهدى في الغرر والدُرر : ان عمر بن عبيد يكنّى (أبا عثمان) وهو مولى لبني العدوية من بني تميم . وذكر انه من عظماء علماء العامة ومتكلميهم ، مات سنة ١٤٤ هجـ وهو ابن أربع وستين سنة ، له مناظرة مع هشام بن الحكم رضوان الله عليه في الامامة ـ راجع الكافي للكليني .

(٢) آية ٣٧ سورة الشورى .

حرّم الله عليه الجنّة﴾ وبعده الأياس من روح الله لان الله عز وجل يقول : ﴿ لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون﴾ .

ثم الامن من مكر الله لان الله عز وجل يقول : ﴿ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون﴾ .

ومنها عقوق الوالدين لأن الله سبحانه جعل العاق جباراً شقياً ، وقتل النفس التي حرّم الله الا بالحق ، لأن الله عز وجل يقول : ﴿فجزاؤه جهنّم خالداً فيها﴾الخ .

وقذف المحصنة لأن الله عز وجل يقول : ﴿لُعِنُوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾ .

وأكل مال اليتيم لأن الله عزّ وجلّ يقول : ﴿إنّما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾ .

والفرار من الزحف لأن الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنّم وبئس المصير﴾ .

وأكل الربا لأن الله عزّ وجلّ يقول : ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المس﴾ .

والسحر لأنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق﴾ .

والزنا لأن الله عز وجل يقول : ﴿ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا﴾ .

واليمين الغموس الفاجرة لأن الله عز وجل يقول : **﴿الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أُولئك لا خلاق لهم في الآخرة﴾** .

والغلول لأن الله عزّ وجلّ يقول : **﴿ومن يغلل يأت بما غلّ يوم القيامة﴾**

ومنع الزكاة المفروضة لأن الله عز وجل يقول : **﴿فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم﴾** .

وشهادة الزور وكتمان الشهادة لأن الله عز وجل يقول : **﴿ومن يكتمها فانه آثم قلبه﴾** .

وشرب الخمر لأن الله عز وجل نهى عنها كما نهى عن عبادة الأوثان .

وترك الصلاة متعمداً أو شيئاً مما فرض الله ، لأن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم)قال : من ترك الصلاة متعمداً فقد برىء من ذمّة الله وذمّة رسوله .

ونقض العهد وقطيعة الرحم لأن الله عزّ وجلّ يقول : **﴿لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾** .

فخرج عمرو وله صُراخ من بكائه ، وهو يقول : هلك من قال برأيه ونازعكم في الفضل والعلم .

وكما أن ارتكاب الذنوب ، وتجاوز الحرمات ، تسدّ أبواب الخير ، وتورث صنوف البلاء والهوان ، فان الورع عن محارم الله ،

والالتزام بالتقوى ، وعدم تخطّي الابواب المحرمة ، والسبل الممنوعة ـ تجلب للمرء كل خير ، وتفتح أمامه أبواب الرزق الواسعة ، وتنوّر قلبه ليرى طريقه في الحياة.

وهذه سنّةٌ من سُننِ الله في خلقه ، سجلها القرآن الكريم قال عن المعرضين العاصين : **﴿ومن اعرض عن ذكري فان له معيشةً ضنكاً ونحشره يوم القيامة اعمى﴾**[1]

ويقول عن المؤمنين المتّقين : **﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمنٌ فلنُحيَّينَّهُ حياةً طيّبة ولنجزينَّهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾**[2] .

ويقول الصادق المصدق لبعض اصحابه :

« أما بعد : فاني أُوصيك بتقوى الله ، فان الله قد ضمن لمن اتقاه أن يحوله عما يكره الى ما يحب ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، فإياك أن تكون ممن يخاف على العباد من ذنوبهم ، ويأمن العقوبة من ذنبه .

فان الله عزّ وجلّ لا يخدع عن جنّته ولا يُنالُ ما عنده الا بطاعته .

حريّ بنا أن نكون عند حسن ظنّ الامام الصادق (عليه السلام) ، ونقتدي به وبالائمة من آل البيت (صلوات الله عليهم اجمعين) . فنتقي الله حقّ تُقاته ، ونعنيهم بشيء من الورع عن محارم الله ، ولباس التقوى ذلك خير .

---

(١) آية ١٢٤ سورة طه .   (٢) آية ٩٧ سورة النحل .

والشعور بالمسؤولية :

ومن التشريعات الاسلامية الغائبة عن حياتنا (الشعور بالمسؤولية) وتحمل بعضاً من اعباء الآخرين ، وتحسّس آلام الناس ومواساتهم .

اننا ـ اليوم ـ نعيش حالة الانانية والتقوقع وحبّ الذات في محيطنا الاسلامي فالكلُّ يريد نفسه ولِنفسه ، ولا يفكّر الا في نفسِه ولا يرى نفسه مسؤولاً عن الآخرين .

وكأنّنا لم نسمع حديث الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيّته » و« ما آمَنَ مَن بات شبعاناً وجاره جائع » و« من اصبح ولم يهتمّ بأمور المسلمين فليس بمسلم » وغير ذلك من الجم الغفير والكم العظيم من الاحاديث والروايات والاخبار الواردة بهذا الشأن ، والتي تصبُّ جميعاً في دائرة الاهتمام بالناس والاحساس بالمسؤولية تجاه المؤمنين .

والحالة التي نعيشها ، لا يُعبَّر عنها بأقلَّ من (كارثة) ، فأكثر ما نعانيه ـ ناتج عن هذه الحالة .

وبما أن الامام الصادق (عليه الصلاة والسلام) إمام من أئمّة الهدى وحامل مشعل الفكر الاسلامي ، وامتداد للنهج النبوي القويم ، فانه (عليه الصلاة والسلام ،) ، فتح صفحة كبيرة في كتاب الاخلاق يركز فيها على هذه الصفة الهامة والخلق النبيل ، صفة الشعور بالمسؤولية ومعايشة آلام الناس ، والاهتمام بشؤونهم .

ويدخل ضمن اطار الشعور بالمسؤولية : صلة الرحم ، ومساعدة

المحتـاجين ، وإغاثـة الملهوفين ، والسعي لانجـاح طلبات المؤمنين . . الى غير ذلك من المفاهيم والقيم الاسلامية المثلى .

وإليـك نتفـاً من اهتمـامـات الامـام أبي عبـد الله الصـادق (عليـه السلام) ضمن هذا الاطار خاصة .

يحـدّثنا عن الحقـوق العامـة التي يجب على كـل مسلم أن يلتـزم بها تجاه الآخرين فيقول :

« حقّ المسلم على المـسلم أن لا يـشبـع ويـجـوع أخـوه ، ولا يروىٰ ويعـطش أخــوه ، ولا يكتسي ويعـرى أخــوه ، فمـا اعــظم حقّ المسلم على اخيه المسلم » .

وقــال : احب لاخيــك المسلم مـا تحب لنفســك واذا احتجت فسله ، وإن سـألك فـاعطه ، لا تمله خيـراً ولا يمله لك[1] كن لـه ظهراً فـانه لـك ظهر ، اذا غـاب فـاحفـظه في غيبتـه ، وإذا شهـد فـزره واجِلَّه واكـرمه فـانه منـك وأنت منه ، فـان كان عليـك عاتبـاً فـلا تفـارقـه حتى تسـأل سميحته ، واذا قـال الـرجـل لاخيـه « اف » انقـطع مـا بينهمـا من ولايـة ، واذا قال « انت عـدوّي » كفر احـدهما ، فـاذا أتهمـه انمـاث[2] الايمان في قلبه ، كما ينماث الملح في الماء .

ويـأمـر أصحـابـه بـالتـواصـل والتـراحم ، وتـوثيق عـرى الاخــوة متواصلين متراحمين ، « تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا امرنا واحيوه » .
فيقول : (اتقوا الله وكونوا اخـوة بررة ، متحـابين في الله ، متـواصلين متراحمين ، تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا امرنا واحيوه) .

---

(١) أمليته بمعنى تركته واخرته . قال في الوافي : لاتمله خيراً : لا تسأمه من اكثارك الخير .
(٢) انماث : ذاب .

وقال (عليه الصلاة والسلام) : « يحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاون والتعاطف ، والمواساة لأهل الحاجة ، وتعاطف بعضهم على بعض حتّى تكونوا كما أمركم الله عز وجل : (رحماء بينهم) متراحمين مغتمين لما غاب عنكم من أمرهم ، على ما مضى عليه معشر الانصار على عهد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) » .

وعن حقوق الآخرين ـ أيضاً ـ يسأله المعلى بن خنيس فيجيب الامام : « سبعة حقوق واجبات ما فيها حق الا وهو واجب عليه ان خالفه خرج من ولاية الله ، وترك طاعته ، ولم يكن لله عز وجل فيه نصيب » .

قال : قلت : جُعلت فداك حدّثني ما هي ؟

قال : يا معلى ، اني شفيقٌ عليك ، اخشى أن تضيع ولا تحفظ ، وتعلم ولا تعمل .

قلت : لا قوّة الا بالله .

قال : أيسر منها أن تحب له ما تحب لنفسك ، وتكره له ما تكره لها .

والحق الثاني : أن تمشي في حاجته ، وتبتغي رضاه ولا تخالف قوله .

والحق الثالث : أن تصله بنفسك ومالك ويدك ورجلك ولسانك .

والحق الرابع : أن تكون عينه ودليله ومرآته وقميصه .

والحق الخامس : أن لا تشبع ويجوع ولا تلبس ويعرى ولا تروى ويظمأ .

والحق السادس : أن تكون لك امرأة وخادم وليس لأخيك امرأةٌ ولا خادم، أن تبعث خادمك فتغسل ثيابه ، وتصنع طعامه ، وتمهّد فراشه . فان ذلك كله انما جعل بينك وبينه .

والحق السابع : أن تبرًّ قسمه ، وتجيب دعوته ، وتشهد جنازته ، وتعوده في مرضه ، وتشخص بذلك في قضاء حاجته ولا تحوجه الى أن يسألك ، ولكن تبادر الى قضاء حاجته ، فاذا فعلت ذلك به وصلت ولايتك بولايته وولايته بولاية الله عزّ وجلّ .

ومن حكمه القصيرة (عليه الصلاة والسلام) بهذا المعنى أيضاً : « تقرّبوا الى الله بمواساتكم مع اخوانكم » .

أقصر كتاب

وجدير بالذكر ـ هنا ـ أقصر كتاب كتبه الامام (عليه السلام) الى النجاشي وكان من شيعته ـ صار والياً على الاهواز وبعض من بلاد فارس وكان مؤمناً يدين للإمام (عليه السلام) بالولاء والطاعة .

كلف بعض شيعة الامام بخراجٍ كثير اثقل كاهله ، فشكى المطلوب بالخراج حاله للإمام الصادق (عليه السلام) ، فأخذ الامام قلماً وقرطاساً وكتب للنجاشي : « بسم الله الرحمن الرحيم ، سرَّ أخاك يسرّك الله » .

فلما ورد الكتاب عليه دخل عليه وهو في مجلسه ، فلما خلا ناوله الكتاب وقال : هذا كتاب أبي عبد الله (عليه السلام) ، فقبله

ووضعه على عينيه وقال له : ما حاجتك ؟

قال : خراج علي في ديوانك .

فقال له : وكم هو ؟

فقال : عشرة آلاف درهم .

فدعا كاتبه ، وأمره بادائها عنه ثم أخرجه منها . . .

ثم قال له : سررتك ؟

فقال : نعم جعلت فداك . ثم امر له بمركب وجارية وغلام . . . كل ذلك ويقول له : هل سررتك ؟ فيقول : نعم جعلت فداك فكلما قال « نعم » زاده حتى فرغ ثم قال له : احمل فراش هذا البيت الذي كنتُ جالساً فيه حين دفعت الي كتاب مولاي ، وارفع إليَّ حوائجك

قال : ففعل ، وخرج الرجل ، فصار الى أبي عبد الله (عليه السلام) بعد ذلك فحدّثه بالحديث على جهته ، فجعل يسرُّ بما فعل النجاشي .

فقال الرجل : يا ابن رسول الله كأنّه قد سرّك ما فعل بي ؟

فقال : اي والله لقد سرَّ الله ورسوله .

ومن وصيّة له (عليه السلام) لجميل بن دراج يوصيه ببرّ اخوانه والتسامح معهم والسعي في حوائجهم .

ويأمره أن يخبر اخوانه واصحابه بوصية الامام ، يقول :

« خياركم سمحاؤكم ، وشراركم بخلاؤكم ، ومن صالح الاعمال البر بالاخوان ، والسعي في حوائجهم ، وذلك مرغمةٌ للشيطان ومزحزحٌ عن النيران ودخول في الجنان ، يا جميل أخبر بهذا الحديث غُرَرَ اصحابك » .

قال : فقلت له : جعلت فداك ومن غرر أصحابي ؟

قال (عليه السلام) : هم البارون بالاخوان في والعسر واليسر .

ثم قال : يا جميل أما ان صاحب الجهل يهون عليه ذلك ، وقد مدح الله عز وجل صاحب القليل فقال : ﴿**ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يُوقَ شُحَّ نفسه فأُولئك هم المفلحون**﴾ .

وكم هو جميل أن نقتدي بالصادق (عليه السلام) ونعمل بهذه الوصايا .

ولقد عُرِفَ الصادق (عليه السلام في أوساط الناس عامة ـ رمزاً لتحمل العبء عن المؤمنين ، والمثابرة لكشف الكرب ودفع الهموم عن الناس والسعي المتواصل لحلّ مشاكل المجتمع .

وهنا نموذج آخر لمحاولاته الاصلاحية ، وصورة ناصعة أخرى لمبادراته في سبيل أن تُمحى حاله الاكتئاب والحزن على الوجوه وترتسم ـ بدلاً عنها ـ الابتسامة العذبة .

فقد عَاذَبِهِ والتجأ الى كنفه مولىً لعلي بن هبيرة وكان اميراً على بعض الاطراف ، وعاملاً للعباسيين ، وقد سخط على عبده ففرّ العبد لاجياً بالامام الصادق (عليه السلام) ، يرجو عنده دفع الضرّ وكشف

الكرب والأمن من سخط الامير .

فقال له الامـام : انصرف اليـه واقرأه منّي السلام وقل لـه : اني اجرت عليك مولاك (رفيداً) فلا تُهجه بسوء .

فقال : جعلت فداك ، شاميٌّ حبيث الرأي !!

فقال : اذهب اليه كما اقول لك .

قـال : فسرت إليـه ، فـاستقبلني اعـرابي ببعض البـوادي فقـال : أين تـذهب ؟ اني أرى وجـه مقتـول ! ثم قـال لي : اخـرج يـدك ، ففعلت فقـال : يـد مقتـول ! ثم قـال اخـرج لسـانـك ، ففعلت فقـال : امض فـلا بأس عليـك ، فان في لسـانـك رسـالـةً لـو أتيت بهـا الجبـال الرواسي لانقادت لك ، قال : فجئت فلما دخلت عليه أمر بقتلي .

فقلت : أيهـا الأميـر ، لم تـظفـر بي عنـوة ، وانمـا جئتـك بنفسي وها هنا أمر أذكره لك ، ثم انت وشأنك ، فأمر من حضر فخرجوا .

فقلت لـه : مولاك جعفـر بن محمد يقـرؤك السلام ويقـول لـك : قد أجرت عليك مولاك (رفيداً) فلا تُهجه بسوء .

فقـال : الله لقد قـال لك جعفـر هذه المقـالة ؟ وأقـرأني السلام ؟ فحلفت فردَّدها عليَّ ثلاثاً ، ثم حل اكتافي .

ثم قال : لا يقنعني منك حتّى تفعل بي ما فعلتُ بك .

قلت : لا تكتف يدي يدك ، ولا تطيب نفسي .

فقـال : والله مـا يقنعني الّا ذلـك !! ففعلت كمـا فعـل ، وأطلقتـه فناولني خاتمه وقال : أمري في يدك فدبِّر فيها ما شئت .

وحتى مع الحاكم الغاشم ، والسلطان الظالم ، لا يتوانى عن تقديم النصح له وحثّهِ على صلة الرحم واسعاف الناس عامة والارحام خاصة واليك هذا الموقف للامام عليه السلام مع (الدوانيقي) .

قال الراوي بعث أبو جعفر المنصور الى أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليه السلام) وأمر بفُرش فطُرحت له إلى جانبه ، فأجلسه عليها . ثم قال : عليَّ بمحمد ، عليَّ بالمهدي ، يقول ذلك مراراً فقيل له الساعة الساعة يأتي يا أمير المؤمنين . ما يحبُسُه الا أن يتبخّر ، فما لبث أن وافى وقد سبقته رائحته ، فأقبل المنصور على جعفر (عليه السلام) فقال : يا أبا عبد الله ، حديث حدثتنيه في صلة الرحم ، اذكره يسمعه المهدي .

قال : نعم ، حدّثني أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن عليّ (عليه السلام) ، قال : قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، إن الرجل لَيَصِلُ رَحِمَهُ ـ وقد بقي من عمره ثلاث سنين فيصيرها الله عز وجل ثلاثين سنة ، ويقطعها وقد بقي من عمره ثلاثون سنة فيصيرها الله ثلاث سنين ، ثم تلا **﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده امّ الكتاب﴾** .

قال : هذا حسن يا أبا عبد الله ، وليس إياه أردت .

قال أبو عبد الله : نعم حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه عن عليّ (عليه السلام) .

قال : قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : صلة الرحم تعمر الديار وتزيد في الاعمار وإن كان اهلها غير اخيار .

قال : هذا حسن يا أبا عبد الله ، وليس هذا أردت .

فقال أبو عبد الله : نعم حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه عن عليّ (عليه السلام) ، قال : قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) : صلة الرحم تهوّن الحساب وتقي ميتَةَ السوء .

قال المنصور : نعم هذا أردت .

ويقول (عليه الصلاة والسلام) عن صلة الرحم : « إن صلة الرحم والبر ليهوّنان الحساب ، ويعصمان من الذنوب ، فصلوا اخوانكم ولو بحسن السلام وردّ الجواب » .

دَرْسٌ في القَنَاعَة

حين يفرض الاسلام السعي لتحصيل المعاش واكتساب الرزق ويحتم على المرء أن يعمل جاهداً في هذه الحياة الى جانب ذلك - ينهاه عن الطمع والجشع والحرص والخوف من المستقبل ، ويريده أن يكون قانعاً بما رزقه الله من المال الطيب الحلال . راضياً بما قدر الله له من المعاش ، لا يحمل على قلبه هموم الغد غافلاً عن أن الله عز وجل هو المسيّر والمدبّر .

يقول الصادق (عليه السلام) :

« ان كان الله قد تكفّل بالرزق فاهتمامك لماذا ، وان كان الرزق مقسوماً فالحرص لماذا ، وان كان الحساب حقاً فالجمع لماذا ، وان كان الثواب عن الله حقاً فالكسل لماذا ، وان كان الخلف

من الله عزّ وجلّ حقاً فالبخل لماذا ، وان كان العقوبة من الله عز وجل النار فالمعصية لماذا ، وان كان الموت حقاً فالفرح لماذا ، وان كان العرض على الله حقاً فالمكر لماذا ، وان كان الشيطان عدواً فالغفلة لماذا ، وان كان كل شيء بقضاء وقدر فالحزن لماذا ، وان كانت الدنيا فانية فالطمأنينة اليها لماذا » .

وعن مسمع بن عبد الملك ، قال كنا عند أبي عبد الله (عليه السلام) بمنى وبين أيدينا عنب نأكله ، فجاء سائل فسأله فأمر بعنقود فاعطاه فقال السائل : لا حاجة لي في هذا ، إن كان درهم ؟

قال : يسع الله عليك ، فذهب ثم رجع فقال : ردّوا العنقود ، فقال : يسع الله عليك ، ولم يعطه شيئاً .

ثم جاء سائل آخر ، فأخذ أبو عبد الله (عليه السلام) ثلاث حبّات عنب فناولها إياه ، فأخذها السائل من يده ثم قال : الحمد لله ربّ العالمين الذي رزقني ، فقال أبو عبد الله : مكانك ، فحثا ملء كفّيه عنباً فناولها إياه فأخذها السائل من يده وقال : الحمد لله ربّ العالمين الذي رزقني ، فقال أبو عبد الله مكانك يا غلام : أي شيء معك من الدراهم ؟ فاذا معه نحو عشرين درهماً فيما حرزناه أو نحوها فناولها إياه فأخذها .

ثم قال : الحمد لله ، هذا منك وحدك لا شريك لك ، فقال أبو عبد الله مكانك ، فخلع قميصاً كان عليه فقال : البس هذا ، فلبسه فقال : الحمد الله الذي كساني وسترني يا أبا عبد الله ـ أو قال : جزاك الله خيراً ، ولم يدعُ لابي عبد الله بغير هذا ، ثم انصرف .

قال الراوي : فظننا انه لو لم يدعُ له لم يزل يعطيه لأنه كلما كان يعطيه حمد الله ، واعطاه .

وهكذا فالقناعة خلّة حميدة وكنزٌ لا يفنى وربَّ قانعٍ هيّأ الله له أسباب العيش الكريم والسعة في الرزق .

الصبر والاستقامة :

والنفس الطويل ، ورسوخ القدم ورباطة الجأش وما الى ذلك من المعاني التي تدور في اطار (الصبر) .

الصبر على مكاره الدهر ، ومرارات الايام ، التي لا بدّ وان تكدّر صفو الحياة وأن يمرَّ بها المؤمن بصورة خاصة ، نتيجة لالتزاماته الدينية ، والتقيدات الطبيعيَّة التي تفرضها عليه الحياة .

فالحياة الدنيا (دار بالبلاء محفوفة ، وبالغدر معروفة) كما يصفها أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) .

ومقابل هذا الضنك والعصر والضيق الذي يلم بالمؤمن لا بدّ له من الوقوف ثابتاً في معترك الحياة وفي مهبّ رياح الفتن والمشاكل والا فانه سوف ينهار ، ولا يمكنه أن يكون مؤمناً رسالياً كما يريده الصادق (عليه السلام) بل كما يريده القرآن الكريم .

على هذا الأساس نزل الوحي بنيفٍ وسبعين آية في القرآن الكريم تحثُّ على الصبر والاستقامة وتشجع على الثبات وترسيخ الاقدام ، ومواصلة الحياة دون ملل أو كلل . . .

والمعلم الكبير الامام الصادق (عليه السلام) ، يأمر شيعته من خلال حديثه لحفص بن غياث قائلاً :

« يا حفص ، إن من صبر صبر قليلاً ، وإن من جزع جزع قليلاً . ثم قال : عليك بالصبر في جميع أُمورك ، فان الله عز وجل بعث محمداً (صلّى الله عليه وآله وسلم) فأمره بالصبر والرفق فقال : **﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً وذرني والمكذبين أُولي النعمة﴾** وقال تبارك وتعالى : **﴿ادفع بالتي هي أحسن (السيّئة) فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌّ حميم . وما يلقيها الا الذين صبروا وما يلقيها الا ذو حظٍّ عظيم﴾** .

فصبر رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) حتى نالوه بالعظائم ورموه بها ، فضاق صدره فأنزل الله عز وجل : **﴿ولقد نعلم انك يضيقُ صدرك بما يقولون فسبّح بحمد ربّك وكن من الساجدين﴾** ثم كذبوه ورموه فحزن لذلك فأنزل الله عزّ وجلّ : **﴿قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون . ولقد كُذبت رسلٌ من قبلك فصبروا على ما كُذبوا وأُوذوا حتى أتاهم نصرنا﴾** .

فالزم النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) نفسه الصبر فتعدّوا فذكروا الله تبارك وتعالى وكذبوه ، فقال : قد صبرت في نفسي وأهلي وعرضي ولا صبر لي على ذكر إلهي ، فأنزل الله عز وجل : **﴿ولقد خلقنا السموات والأرض في ستّة أيام وما مسّنا من لغوب ، فاصبر على ما يقولون﴾** .

فصبر النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) في جميع احواله ثم

بشّـر في عترتـه بالأئمّـة وَوُصِفوا بـالصبر فقـال جلَّ ثنـاؤه : **﴿وجعلنـاهم أئمّةً يهدون بأمرنـا لما صبـروا وكانـوا بآيـاتنا يـوقنون﴾** فعنـد ذلك قـال (صلّى الله عليــه وآلــه وسلم) : الصبــر من الايمــان كــالــرأس من الجسد .

فشكـر الله ذلك لـه فـأنـزل الله عـزّ وجـلّ : **﴿وتمّت كلمـة ربّـك بـالحسنى على بني إسرائيـل بما صبـروا ودمرنـا ما كـان يصنعُ فـرعـون وقـومه ومـا كانـوا يعرشـون﴾** فقال (صلّى الله عليـه وآله وسلم) : انـه بُشرىٰ وانتقام .

فـأبـاح الله لـه عـز وجـل قتـال المشــركين فـأنــزل الله : **﴿أقتلوا المشـركين حيثُ وجدتمـوهم وخـذوهم واحصـروهم واقعـدوا لهم كـل مـرصد﴾** . **﴿واقتلوهم حيث ثقفتمـوهم﴾** فقتلهم الله على يـدي رسـول الله واحبائه وجعل له ثواب صبره مع ما ادّخَرَ له في الآخرة .

فمن صبـر واحتسب لم يخـرج من الـدنيـا حتّى يقـرَّ الله لـه عينــه مع اعدائه ، مع ما يدّخر له في الآخرة .

حُسن الوفادة واكرام الضيف :

وعن إكـرام الضيف وحسن وفادة الغــريب يقـول محمــد بن زيـد الشحـام : رآني أبـو عبـد الله وأنـا أصلي فـأرسـل إليَّ ودعـاني ، فقـال لي : من أين أنت ؟

قلت : من مواليك .

قال : فأيّ الموالي ؟

قلت : من الكوفة .

فقال : من تعرفُ بالكوفة ؟

قلت : بشير النبال ، وشجره .

قال : وكيف صنيعتها إليك ؟

قلت : وما أحسنَ صنيعتها إليَّ .

قال : خير المسلمين من وصل وأعان ونفع ، ما بتُّ ليلة قطّ والله وفي مالي حقّ يسألنيه .

ثم قال : أي شيء معكم من النفقة ؟

قلت : عندي مائتا دينار .

قال : أرنيها ، فأتيته بها ، فزادني فيها ثلاثين درهماً ودينارين ، ثم قال : تعشَّ عندي ، فجئت فتعشّيتُ عنده ، فلما كان من القابلة لم اذهب إليه ، فأرسل إليَّ فدعاني من غده .

فقال : ما لك لم تأتني البارحة ؟ قد شفقت عليّ ؟

قلت : لم يجئني رسولك .

فقال : أنا رسول نفسي إليك ما دمت مقيماً في هذه البلدة . أي شيء تشتهي من الطعام ؟

قلت : اللبن ، فاشترى من اجلي شاتاً لبوناً .

قلت : علّمني دعاءً ، فعلمني « يا من أرجوه لكلّ خير . . . . »

ورجلٌ آخر يعرف بعبد الرحمن بن الحجاج قال : اكلنا عند أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) فأُتينا بقصعة من أرز فجعلنا نقصر في الاكل . فقال (عليه السلام) : ما صنعتم شيئاً ، إن اشدكم حُباً لنا احسنكم اكلاً عندنا .

قال عبد الرحمن : فرفعت كشحة المائدة فأكلت . فقال : نعم الآن . ثم انشأ يحدثنا ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) أهدي إليه قصعة أرز عن ناحية الأنصار ، فدعا سلمان والمقداد وأبا ذر رحمهم الله فجعلوا يعذرون في الاكل فقال : ما صنعتم شيئاً ، أشدكم حبّاً لنا احسنكم اكلاً عندنا ، فجعلوا يأكلون اكلاً جيداً . ثم قال أبو عبد الله (عليه السلام) رحمهم الله رضي الله عنهم وصلّى عليهم .

وعن عبد الله الصيرفي قال : كنّا عند أبي عبد الله (عليه السلام) فقدم إلينا طعاماً فيه شواء وأشياء بعده ، ثم جاء بقصعة من أرز فأكلت معه فقال : كُل ، قلت : قد اكلت ، قال : كل ، فانه يعتبر حبُّ الرجل لأخيه بانبساطه في طعامه . ثم حاز لي حوزاً باصبعه من القصعة فقال لي : لتأكلن ذا بعد ما أكلت ، فأكلته .

من خلال الروايتين السالفتين والتي تليهما يُستفاد أن الامام (عليه الصلاة والسلام) ، يرى ملازمة بين حبّ الرجل ومودته لأخيه وبين أن ينبسط وينطلق في الأكل في بيته .

عن يونس بن أبي ربيع قال : دعا أبو عبد الله بطعام فأُتيَ بهريسة فقال لنا : أدنوا وكلوا ، قال : فأقبل القوم يقصّرون فقال (عليه السلام) : كلوا ، انما تستبين مودّة الرجل لأخيه في اكله

قال : فأقبلنا نغصُّ انفسنا كما يغصُّ الابل .

إذا نـزل الضيف في دار الصـادق (عليـه السـلام) فـانـه يجـد غذاءين، غذاء الروح وغذاء الجسد .

عن أبي حمزة قال : كنّا عند أبي عبـد الله جماعـةً ، فدعـا بطعـام مـا لنا عهـد بمثله لذاذة وطيبـاً ، وأُتينـا بتمـر ننـظر فيـه الى وجـوهنـا من صفـائه وحسنـه فقال رجـل : « لتُسـألُنَّ عن هـذا النعيم الـذي نعمتم بـه عند ابن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) .

فقـال أبـو عبـد الله (عليـه السـلام) : الله اكـرم واجـل من أن يطعمكم طعامـاً فيسوِّغكمـوه ثم يسألكم عنـه ، ولكن يسألكم عمـا انعم عليكم بمحمد وآل محمد عليه وعليهم السلام .

ويـأبى أن يستخـدم الاضيـاف لقضـاء حـاجـاتـه لأن رسـول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) نهى عن ذلك .

عن ابن أبي يعـفـور قـال : رأيت عـنـد أبي عـبـد الله (عليـه السـلام) ضيفاً ، فقـام يومـاً في بعض الحوائـج ، فنهاه عن ذلـك وقـام بنفسـه الى تلك الحاجـة وقـال : نهى رسـول الله (صلّى الله عليـه وآلـه وسلم) عن أن يُستخدم الضيف .

وعن أداء الأمانة :

يقول (عليه الصـلاة وعليه السـلام) : « إن ضارب عليّ بـالسيف وقـاتله لـو أئتمنني واستنصحني واستشـارني ثم قبلتُ ذلـك منـه لادّيت اليه الامانة » .

فهـو الصادق الامين ، وجـدّه الصادق الامين ، والصـدق والامانـة صفتان متلازمتان متحدتان ـ يتقابلان مع الكذب والخيانة .

ولن تجـد في حياة أهـل البيت الا الصدق والامـانـة ومن الغـريب أن مناوئيهم واعدائهم ـ قديماً وحديثاً ـ اتصفوا بالكذب والخيانة .

وهم (عليهم السـلام) يريـدون من شيعتهم واتبـاعهم ومن يضمـر الـولاء لهم ، ويحمل بين جنبـاته حبّـاً لهم ـ أن يكـون صـادقـاً أمينـاً في قوله وعمله ، في أبعاد حياته كلها . .

ويعتبـر الصـادق (عليـه السـلام « الصـدق والامـانـة » عـلامتـان بـارزتان في سلوك شيعتـه ، فلا اعتبـار بطول ركـوعه وسجـوده ولا اعتبار بكثرة صيامه وقيامه ، بل الميـزان الذي يقيّم على أسـاسه إيمـان الرجـل هو صدق حديثه ومدى التزامه بالامانة .

يقـول (عليـه الصـلاة والسـلام) : « لا تنـظروا الى طـول ركـوع الـرجل وسجـوده فان ذلـك شيء اعتاده ، ولـو تركـه استوحش لـذلـك ، ولكن انظروا الى صدق حديثه وامانته » .

والإصلاح بين الناس :

يأتي في رأس اهتمامـات الامام (عليـه السلام) ، لأنـه وصية الله في القـرآن الكـريم ووصيـة رسـول الله (صلّى الله عليـه وآلـه وسلم) ، ووصية أمير المؤمنين (عليه السلام) .

عن أبي حنيفـة سائق الحـاج قـال : مـرَّ بنـا المفضـل وأنـا وختني

نتشاجر في ميراث ، فوقف علينا ساعة ، ثم قال لنا : تعالوا الى المنزل فأتيناه ، فاصلح بيننا بأربعمائة درهم ، فدفعها الينا من عنده ، حتى إذا استوثق كلُّ واحد منّا من صاحبه قال :

أما انها ليست من مالي ولكن أبو عبد الله (عليه السلام) أمرني اذا تنازع رجلان من اصحابنا في شيء أن أصلح بينهما وافتديهما من ماله ، فهذا من مال أبي عبد الله (عليه السلام) .

ولا يمكن أن اسطر - في هذا الكتيّب الصغير - كل الدروس الاخلاقية التي تلاها الامام (عليه السلام) ، وكل الاسس التي وضعها لتكوين مجتمع إسلامي افضل ، مخلقٍ بأخلاق الاسلام وآدابه ، ولكنني استرسل في بعض الصفات العامة التي حدّدها الامام وركّز عليها . فمن أقواله (عليه الصلاة والسلام) :

« المؤمن له قوة في دين ، وحزم في لين ، وإيمان في يقين ، وحرص في فقه ، ونشاط في هدى ، وبرّ في استقامة ، وعلم في حلم ، وكيس في رفق ، وسخاء في حق ، وقصد في غنى ، وتجمل في فاقة ، وعفو في قدرة ، وطاعة لله في نصيحة ، وانتهاء في شهوة ، وورع في رغبة ، وحرص في جهاد ، وصلاة في شغل ، وصبر في شدّة وفي الهزاهز ليس بواهن ، ولا فظ ولا غليظ ، ولا يسبقه بصره ، ولا يفضحه بطنه ، ولا يغلبه فرجه ، ولا يحسد الناس ، يعيّر ولا يعيّر ، ولا يسرف ، ينصر المظلوم ويرحم المسكين ، نفسه منه في عناء ، والناس منه في راحة ، لا يرغب في عزّ الدنيا ولا يجزع من ذلها ، للناس هم قد اقبلوا عليه وله هم قد شغله . لا يرى في حكمه نقص ، ولا في رأيه وهن ، ولا في دينه

ضياع . يرشد من استشاره ويساعد من ساعده ، ويكيع عن الخنا والجهل » .

وعن أخلاق العلماء يقول لمحمد بن النعمان (مؤمن الطاق) « يا ابن النعمان : إياك والمراء فانه يحبط عملك ، وإياك والجدل فانه يوبقُك ، وإياك وكثرة الخصومات فانها تبعدك من الله ، وإن من قبلكم كانوا يتعلمون ـ وأنتم تتعلمون الكلام . انما ينجو من اطال الصمت عن الفحشاء . . .

إن أبغضكم اليَّ المترئسون ، المشاؤون بالنمائم ، الحسدة لإخوانهم ، وإنما أوليائي الذين سلموا لامرنا واتبعوا آثارنا » .

والشيعة خاصة عليهم أن يكونوا زيناً لآل محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم) لا شيناً عليهم ـ كما يصرح بذلك الصادق (عليه السلام) ، وفي هذا الخبر يذكر لهم بعض اخلاقهم :

يقول أبو بصير ، وهو العالم المخضرم ، والصاحب القديم للصادق (عليه السلام) :

قال الصادق (عليه السلام) : يا أبا محمد ، ما فعل أبو حمزة ؟

قلت : جعلت فداك ، خلفته صالحاً .

فقال : إذا رجعت إليه ، فاقرأه السلام ، واعلمه انه يموت يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا .

قال أبو بصير : جعلت فداك ، لقد كان فيه انسٌ وكان لكم شيعة .

---

(١) الخنا : الفحش

قال : صدقت يا أبا محمد ، ما عندنا خيرٌ له .

قلت : جعلت فداك شيعتكم ؟

قال : نعم ـ إذا خاف الله ، وراقبه ، وتوقّى الذنوب ، فاذا فعل ذلك كان معنا في درجتنا .

قال أبو بصير : فرجعت فما لبث أبو حمزة حتى هلك تلك الساعة في ذلك اليوم .

الخَمْرَة

ويعلن الامام الصادق (عليه السلام) حرباً شعواء لا هوادة فيها ضدّ الخمرة واصحابها ، ويقف موقفاً عنيفاً تجاهها ، وينهىٰ نهياً صارماً عنها .

يقول : (عليه السلام) : « إن الخمر رأسُ كلِّ اثم ، ومفتاحُ كلِّ شر ، وما عصي الله بشيء اشدَّ من شربِ المسكر » .

قال أبو بصير : كان لي جارٌ يتبع السلطان ، فأصاب مالاً فاتخذ قياناً وجواري ، وكان يجمع حوله من هم على شاكلته ويشرب المسكر ويؤذيني ، فشكوته الى نفسه غير مرَّة ، فلم ينته ، فلما ألححت عليه قال : يا هذا انا رجل مبتلىٰ وأنت رجلٌ معافىٰ ، فلو عرفتني لصاحبك ، رجوت أن يستنقذني الله بك .

فوقع في قلبي ، فلما صرتُ الى أبي عبد الله (عليه السلام) ، ذكرت له حال صاحبي . فقال لي : إذا رجعت إلى الكوفة ، فانه

سيأتيك ، فقل له : يقول لك جعفر بن محمد : دع ما أنت عليه ، واضمن لك على الله الجنّة .

قال : فلما رجعت الى الكوفة ، أتاني فيمن أتىٰ ، فاحتبسته حتّى خلا منزلي . فقلت : يا هذا اني ذكرتك لأبي عبد الله ، فقال - اقرأه السلام وقل له : يترك ما هو عليه ، وأضمن له على الله الجنّة .

فبكى ثم قال : الله قال لك جعفر (عليه السلام) هذا ؟

قال : فحلفت له انه قال لي ما قلت لك .

فقال لي : حسبك ، ومضى ، فلما كان بعد أيام بعث الي ودعاني ، فاذا هو خلف باب داره عريان ! !

فقال : يا أبا بصير ، ما بقي في منزلي شيءٌ الا وخَرجتُ عنه ، وانا كما ترىٰ ، فمشيت الى اخواني فجمعت له ما كسوته به ثم لم يأت عليه الا أيام يسيرة حتى بعث الي اني عليل فأتني .

فجعلت اختلف اليه واعالجه حتى نزل به الموت ، فكنت عنده جالساً وهو يجود بنفسه ثم غشي عليه ثم أفاق فقال : يا أبا بصير قد وفى صاحبك لنا ، ثم مات .

فحججت فأتيت أبا عبد الله (عليه السلام) ، فاستأذنت عليه فلما دخلت ، قال مبتدئاً من داخل البيت وإحدى رجلَيَّ في الصحن والاخرى في دهليز داره :

« يا أبا بصير ، قد وفينا لصاحبك ! » .

ولا يوصد الامام (عليه السلام) الابواب في وجه شارب الخمر ، فلو أراد أن يعود الى رحاب الله ، ويتوب من ذنبه فان الله عز وجل يغفر له فرحمته وسعت كلَّ شيء ، كما فعل ذلك أبو هريرة .

فقد كان (أبو هريرة الأبّار) صاحباً للامام الصادق (عليه السلام) ، شاعراً قربه الامام، فلما توفي ترحّم عليه الامام الصادق عليه السلام ، فقيل له : انه كان يشرب !

فقال: رحمه الله وما ذنب يغفره الله ، لولا بغضُ عليّ (عليه السلام) .

* * *

مَفهُومُ السِّيَاسَةِ
عِندَ الإِمَامِ الصَّادِقِ "عَلَيهِ السَّلَام"

لقـد انتهـج آل البيت (عـليهـم الصـلاة والسـلام) سيـاسـة (الحـديَّة) في كـل المسائـل ـ وبخاصـة لو تعلق الأمـر بصميم الاسلام فلو تعارضت السياسة مع الاسـلام ، انحازوا الى الـدين ، ولو تضـاربت المصـالـح مـع الـدين ، اختـاروا مصلحـة الاسـلام على غيـرهـا من المصالح .

الـدين عندهم فـوق كل شيء ، فـوق الحكومـة ، فـوق السيـاسـة فوق الحياة كلها . .

ولا أعتقـد أن التاريـخ يعرف احـداً بهذه الصـرامـة والصـلابـة في ذات الله غير أهل البيت (صلوات الله عليهم) .

وشـواهـد المُـدَّعىٰ اكثـر من ان تُحصىٰ ـ في حيـاة كـل واحـدٍ منهم ـ بـدءاً بعليّ أميـر المؤمنين وانتهـاءاً بمن شئت منهم . فـالـدين والـدنيا مـطلوبان ولكنهم يبتغـون الله والدار الآخـرة ، فاذا انصـرفـوا من عمـل الآخـرة ، وأتمّـوا مـا عليهم من حقّ الله ، اخـذوا من الـدنيـا مـا يقيم الأود ويسدُّ الرمق ، وما يسيرون به الحياة .

وأبعـاد الحياة كلهـا قائمـة ـ في مفهـومهم ـ على رضـا الله أولاً ثم رضا الناس .

لا يمارون ولا يدارون أحداً على حساب الدين .

ولا يستبعد أن تكون هذه (الحديّة) عاملاً فعّالاً في ابتعادهم أو أبعادهم عن الساحة السياسية طيلة قرون متمادية .

ولنتصفّح التاريخ قليلاً لنتبيّن حقيقة هذا الادعاء .

إليك - مثلاً - علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، نجده مع علمه الغزير ، وفضله الكثير ، وقضاءه الفذّ ، وسابقته في الاسلام ، والصِلات التي بينه وبين الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، وغير ذلك من صفاتٍ ذاتية مثلى ، ومحاسنَ قيِّمة ، أضف الى ذلك مواقفه المشرفة التي شهدتها آفاق حياته والتي يندر أن تكون لغيره . . .

مع كل تلك العظمة - يصير بمنأى عن السياسة والحكومة ويعرض عنه الناس ، ويتجاهلونه ويجفونه . وحين يجتمع له الامر بعد خمس وعشرين سنة ويلتف الناس حوله وينتخبونه خليفة لهم ويجيبهم بعد رفض شديد - لا تدوم له الأيام الا قليلاً ، فينكث من بايع ويمرق من خضع ، وتقوم له الفتن كسحب الليل المظلم ، وتتزاحم عليه المشكلات حتّى تنتهي باستشهاده في بيت الله . . .

إن البعض يرى أن لو كان عليّ (عليه السلام) يمارس السياسة المعهودة سياسة المراوغة والكذب ، سياسة المرونة واللف والدوران سياسة الذين لا دين لهم ، سياسة الذين لا همَّ لهم ألا تثبيت دعائم السلطة ! . . .

لو كان كذلك ، لما جفته الأيام ، ولما تظاهر عليه الزمن . فلا تفسير لما حصل له ، سوى أنه كان صارماً في ذات الله شديداً في

حق الله ، قوياً صلباً في تحقيق الحق والعدل ، زاهداً في شؤون الدنيا لا يبالي إن كانت له أو لغيره ، أجل ، انه يريدها ليحقق بها مرضاة الله وإلا فهي عنده « أهون من عفطة عنز) وهي « كعظمة خنزير في فم مجذوم » وهي عنده أقل قدراً من نعالٍ قديم خَلِق الا أن يقيم حقاً أو يدحض باطلاً .

لقد انحاز الى الدين وترك الدنيا فكان ما كان . . .

وبرزت هذه الحدية يوم عرض عليه عبد الرحمن بن عوف الخلافة بعد مقتل عثمان شريطة العمل بكتاب الله وسنّة نبيّه وسيرة الشيخين ، ورفض الامام الشرط الاخير .

قال له عبد الرحمن : نبايعك على كتاب الله وسنّة نبيّه وسيرة الشيخين .

فأجابه الامام (عليه السلام) : على كتاب الله وسنّة نبيّه واجتهاد رأيي .

قالها دون مسايسة أو مجاملة ، ولم يتوقف لحظة عن ابداء رأيه وعقيدته حتى لو طارت منه الحكومة ونُحيَّ عن الرياسة !

وقد تكررت هذه الصلابة في الحق والصرامة في الدين وعدم المداهنة على حساب الدين ـ في بحبوحة الفتن التي ألمّت به أيام خلافته (عليه السلام) ، مع اصحاب الشام واتباع الجمل وجماعة النهروان .

والسياسة ـ بمفهوم الناس ـ تخطىء علياً (عليه السلام) ومواقفه الشديدة ، ويودّ الكثير لو انّه جامل أو داهن قليلاً حتى لا تؤول

الامور الى ما آلت إليه ، بيد أن الموازينَ والمعايير لدى اهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) والمبادىء الاسلامية لا تسمح بالتلون والمراوغة وهدر الحقوق وظلم الناس .

ولننتقل الى سليله وشبله سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) ، لنجد في قيمه نفس (الحدّية) التي عند أبيه (عليه السلام) فلو دار الامر بين أن يعيش ذليلاً ويذل الاسلام ، أو أن يموت عزيزاً ويعاني القتل والعطش وسبي النساء وتزاحم النوائب وتراكم المصائب فانه لا يختار على عزّة الاسلام شيء .

ويخاطب القوم قائلاً : « والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا اقرّ لكم اقرار العبيد » .

ولا ينبغي أن نزيغ عن هذا الخط حتى نصل الى الامام السادس من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (سلام الله عليه) لنرى انه اتخذ نفس النهج مع الساسة والحاكمين ولم يدنّس نفسه بالمراوغات والمداهنات والأباطيل التي ألفها الناس وعبّروا عنها بالسياسة .

كان (عليه السلام) صريحاً في التعبير عن وجهة نظره تجاه الذين يحكمون المسلمين من امويين وعباسيين ، ممن عاصرهم في حياته الكريمة ، بل حتى مع الثائرين الذين لم يتوثق منهم الصلابة في الدين والصرامة في الحق ، فلا مجاملة في الحق ولا مسايسة على حساب الاسلام .

من هذا المنطلق اتخذ الامام الصادق ـ كما آباؤه وابناؤه ، من أئمة أهل البيت ـ موقف الرفض من كل الانظمة الحاكمة ، وكانت

الحكومات تتعاهدهم بالعسف والظلم والجور ، طوال تاريخهم المشرق فأصواتهم لا تُسمع ، وافكارهم لا تصل الى الناس ، وحقائقهم لا تظهر وبالنتيجة ـ جهلت الامة فضلهم وضيعت قدرهم .

يبعث المنصور الى الامام الصادق (عليه السلام) قائلاً :

« لم لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس ؟ »

فيردُّ عليه الامام : ليس لنا ما نخافك من اجله ، ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له ، ولا أنت في نعمه فنهنئك ولا تراها نقمة فنعزيك بها ، فما نصنع عندك ؟

فكتب إليه المنصور : تصحبنا لتنصحنا .

فأجابه الامام : من أراد الدنيا لا ينصحك ، ومن أراد اخّرة لا يصحبك .

فقال المنصور : والله لقد ميَّز عندي منازل الناس من يريد الدنيا ممن يريد الآخرة ، وانه ممن يريد الآخرة .

فالامام (عليه السلام) يعتبر ما في يد المنصور من حكومة على الناس نقمة ! وليس نعمه ، وليس عنده من امر الآخرة شيء أبداً .

وأي نقمةٍ اشد مما كان عليه المنصور ؟ من قتل الانفس البريئة ، وسفك الدماء الطاهرة من آل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) وذراري عليّ وفاطمة ، وأي نقمة اشد من غدرة لاعوانه وفتكه باصحابه ؟ وحتى بأهل بيته من العباسيين .

ان الإمام (عليه السلام) يعتبره ظالماً جائراً ، لعبت به الدنيا واستباح الحرمات ، ولا ينبغي الركون إليه ، ولا الاطمئنان لامثاله .

وفي أواخر أيام الامويين يعرض عليه بعض اصحاب الانتفاضات والحركات الثورية ـ قبول البيعة له ، أو على الاقل التأييد علانية لهم ، لكنه يرفض ذلك ، ولعله يردهم ـ في بعض الاحيان ـ رداً عنيفاً لأنه حين يكتشف حقيقتهم ، ويطلع على مكنوناتهم ، لا يراهم بأفضل من هؤلاء الجائرين الذين يمارسون الحكم .

روي أن أبا مسلم الخراساني بعث بكتاب للامام الصادق (عليه السلام) ـ قبيل اعلان الثورة على الامويين ـ يعرض عليه البيعة ، ويعدُّ نفسه من شيعة الامام ومواليه .

فلما أتى كتاب الخراساني الى الصادق (عليه السلام) بالليل قرأه ثم وضعه على السراج فحرقه .

فقال الرسول « ظاناً أن حرق الكتاب حصل من الامام للتغطية والصيانة والستر على الامر » : هل من جواب ؟

قال : الجواب ما قد رأيت .

وعن ذلك يقول أبو هريرة الأبّار .

ولما دعا الداعون مولاي لم يكن	ليُثني اليهم عزمه بصواب
ولما دعوه بالكتاب أجابهم	بحرق كتاب دون ردّ جواب
وما كان مولائي كمشري ضلالة	ولا ملبساً منها الردى بصواب
ولكنه لله في الأرض حجة	دليل الى خيرٍ وحسنِ مآب

ويحذّر شيعته واصحابه من معاشرة الحكام والملوك لأن في معاشرتهم ذهاب الدين وقساوة القلب ، وسلب الخشوع ، ولقد سبقه القرآن الكريم في هذا التحذير حيث قال : **﴿ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسّكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تُنصرون﴾**[1] .

ويأتي الامام (عليه السلام) ليذكر العلة لهذا النهي والسبب لهذا التحذير فيقول (عليه الصلاة والسلام) :

« إياكم وعشرة الملوك وابناء الدنيا ، ففي ذلك ذهاب دينكم ويعقبكم نفاقاً ، وذلك داء رديء لا شفاء له ، ويورث قساوة القلب ويسلبكم الخشوع ، وعليكم بالأشكال من الناس والأوساط من الناس فعندهم تجدون معادن الجواهر ، وإياكم أن تمدوا أطرافكم الى ما في أيدي أبناء الدنيا ، فمن مدّ طرفه الى ذلك طال حزنه ، ولم يشف غيظه واستصغر نعمة الله عنده ، فيقل شكره . . . » .

وبكلمة : فان السياسة في قاموس أهل البيت (عليهم السلام) ينبغي أن تقوم على أساس من الدين والايمان ، مقرونة بالورع والتقى والا فهي مراوغة وخداع ، وتضليل للعامة ولا خير فيها .

ولو تسنّى لهم أن يمارسوها بطريقة يرتضيها الله عزّ وجلّ ولا يعترض عليها الاسلام ، فبها ، والا فهي ليست سياسة بل هي نفاق وخساسة .

---

(١) آية (١١٣) سورة هود .

على هـذا الاسـاس كـان الصـادق (عليــه السـلام) يبــدي رأيـه ويجـاهر بعقيـدته ونـظرياتـه في المسائـل العـامـة ـ ويتـابـع عمـل آبـائـه الـطاهـرين ، فِينبّـه على قـواعـد الحكم الصـالـح والحقـوق العـامـة ، بنصوص دستورية ارشادية .

فلو وقعت قضيـة أو برزت حـادثة على السـاحة نـرى الامام مهتمـاً بها ، يبدي رأيه فيها .

وأظنّ انـه يخـطىء من يصـور الامـام (عليـه السـلام) أنــه كـان بمعـزل عن المسائـل كلهـا منـزويـاً في زاويـة المسجـد مشغـولاً بـالعلم والعبـادة فحسب ، فلو كان الامـر كذلـك لما خـافه السـلاطين وبخاصـة المنصـور الدوانيقي ، فلقـد كان حـذراً من الامـام اشـد الحـذر ، وكـان مجـرد وجـود الامـام على قيـد الحيـاة يقض مضجعـه ويسلب راحتــه ، وقد ارسل في طلبـه عشرات المـرات يريـد قتله والقضاء عليـه والتخلص منــه ، حتى انــه كــان يقــول : قتلت كــل آل عـلي ولم يـبق ســوى سيـدهم ـ يقصـد بـذلـك الصــادق (عليـه الســلام) ـ قتلني الله إن لم أقتله .

فلولا اهتمام الامام بالمسائـل السياسيـة عَلام هـذا التخوف منـه ؟ أجل لم يمارس السيـاسة بـالفعل بنفسـه ، ورفض أن يلوث يده الكـريمة بممارسة الحكومة لاسباب مرَّ ذكرها . .

ولكنـه في نفس الوقت كـان يرى نفســه مسؤولاً عن الامة كبـارهـا وصغارها ، حكامها ومحكوميها ، رعاتها ورعيتها .

ومن خـلال الكتاب الـذي اجاب بـه (النجـاشي) حين عُيِّن واليـاً على الاهواز وبلاد فارس ، وكان قد استنصح الامام (عليه السلام) وسأله أن

ينظم له بَرنامج عمل يمارس به الولاية ويرضي الله والناس .

من خلال هذا الكتاب أو قُل هذا (العهد) نلاحظ أمرين هامين احدهما : ان الصادق (عليه السلام) لا يتوانى عن اسداء النصح للجميع سواءً قبلوا به أو رفضوه ، حاكمين ومحكومين .

ثانيهما : انه يستقي من معين جدّه أمير المؤمنين ، فيضع برنامجاً عملياً يصلح أن يعمل به كل حاكم عادل على مرّ الحُقب والازمان كامثل طريقةٍ للحكومة على الناس يجلب بها رضا الله والناس ، كما فعل عليّ (عليه السلام) في العهد الذي كتبه لمالك الأشتر النخعي (رضوان الله عليه) .

قال عبد الله بن سليمان النوفلي : كنت عند جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) فاذا بمولى لعبد الله النجاشي ورد عليه فسلّم وأوصل اليه كتاباً ففضه وقرأه فاذا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم ، اطال الله بقاء سيّدي وجعلني من كل سوء فداه ، اني بليتُ بولاية الأهواز ، فان رأي سيدي أن يُحدَّ لي حداً أو يمثل لي مثلاً لاستدل به على ما يقربني الى الله عز وجل والى رسوله ويلخص في كتابه ما يرى لي العمل به وفيما يبذله وابتذله واين اضع زكاتي وفيمن اصرفها وبمن آنس والى من استريح ومن اثق ومن آمن والجأ إليه في سرّي فعسى أن يخلصني الله بهدايتك ودلالتك فانك حجّة الله على خلقه وامينه على بلاده لا زالت نعمته عليك » فأجابه الامام (عليه السلام) :

بسم الله الرحمن الرحيم

حاطك الله بصنعه ، ولطف بك بمنّه ، وكلأك برعايته ، فانه ولي ذلك .

أمّا بعد : فقد جاء الى رسولك بكتابك فقرأته وفهمت جميع ما ذكرته وسألت عنه ، وزعمت انك بليت بولاية الأهواز فسرّني ذلك وساءني ، فأما سروري بولايتك فقلت عسى أن يغيث الله بك ملهوفاً من أولياء آل محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلم) ويعزبك ، وساءني من ذلك فان ادنى ما أخاف عليك أن تعثر بولي لنا فلا تشم حظيرة القدس .

فاني ملخص لك جميع ما سألت عنه ، ان انت عملت به ولم تجاوزه رجوت ان تسلم انشاء الله تعالى ، اخبرني ابي عن آبائه عن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) انه قال : « من استشار أخاه المؤمن فلم يمحضه النصيحة سلبه الله لبّه » .

واعلم اني سأشير عليك برأي ان انت عملت به تخلصت مما أنت متخوفة ، واعلم ان خلاصك ونجاتك في حقن الدماء وكف الأذى من أولياء الله والرفق بالرعية والتأنّي وحسن المعاشرة مع لين في غير ضعف وشدّة في غير عنف ، ومداراة صاحبك ومن يرد عليك من رسله ، وارتق فتق رعيتك بأن توافقهم على ما وافق الحق والعدل انشاء الله .

إيـاك والسعاة وأهـل النمـائم فـلا يلتـزقن[1] منهم بـك أحـد ، ولا يـراك الله يـومـاً وليلة وأنت تقبـل منهم صـرفـاً ولا عـدلاً فيسخط الله عليك ويهتك سترك .

فـأمّا من تـأنس به وتستـريح إليـه وتلج امورك إليـه فذلـك الرجـل الممتحن المستبصـر الامين المـوافق لـك على دينـك ، وميـز عـوامـك وجرب الفريقين فإن رأيت هنا لك رشداً فشأنك .

وإياك أن تعطي درهماً أو تخلع ثوباً أو تحمل على دابة في غير ذات الله لشاعر أو مضحك أو ممتزح الا اعطيت مثله في ذات الله .

ولتكن جـوائـزك وعـطايـاك وخلعـك للقـواد والـرسـل والاحفـاد واصحـاب الرسـائل واصحـاب الشرط والاخمـاس وما أردت أن تصـرفـه في وجوه البرّ والنجاح والفتوة والصـدقة والحـج والمشرب والكسـوة التي تصلي فيهـا وتصـل بهـا والهـدية التي تهـديهـا الى الله عـز وجـل والى رسوله (صلّى الله عليه وآله وسلم) من أطيب كسبك .

يـا عبد الله اجهـد الا تكنـز ذهبـاً ولا فضـة فتكـون من أهـل هـذه الآيـة التي قـال الله عـز وجـل : ﴿**الـذين يكنـزون الـذهب والفضـة ولا ينفقونها في سبيل الله**﴾ .

ولا تستصغـرن من حلو أو فضل طعـام تصـرفـه في بـطون خـاليـة ليسكن بها غضب الله تبارك وتعالى .

واعلم اني سمعت من أبي يحـدث عن آبـائـه عن أميـر المؤمنين

---

(١) لزق والتزق : لصق والتصق .

(عليهم السلام) انه سمع النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) يقول يوماً : ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعاناً وجاره جائع . فقلنا : اهلكنا يا رسول الله ؟ فقال : من فضل طعامكم ومن فضل تمركم ورزقكم وخلقكم وخرقكم تطفون بها غضب الرب .

فخرج أمير المؤمنين (عليه السلام) من الدنيا وليس في عنقه تبعة لاحد حتى لقي الله محموداً غير ملوم ولا مذموم ، ثم اقتدت به الأئمة من بعده بما قد بلغكم ، لم يتلطخوا بشيء من بوائقها (صلوات الله عليهم اجمعين) واحسن مثواهم .

وقد وجهت إليك بمكارم الدنيا والآخرة ، فان أنت عملت بما نصحت لك في كتابي هذا ثم كانت عليك من الذنوب والخطايا كمثل أوزان الجبال وامواج البحار رجوت الله ان يتحامى عنك جل وعزّ بقدرته .

يا عبد الله إياك أن تخيف مؤمناً ، فان أبى محمد حدّثني عن أبيه عن جدّه عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) انه كان يقول : من نظر الى مؤمن نظرة ليخيفه بها اخافه الله يوم لا ظلّ إلا ظلّه ، وحشره في صورة الذر لحمه وجسده وجميع أعضائه حتى يورده مورده .

وحدّثني أبي عن آبائه عن عليّ عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) انه قال : من أغاث لهفاناً من المؤمنين اغاثه الله يوم لا ظلّ الا ظلّه ، وآمنه الله يوم الفزع الأكبر ، وآمنه عن سوء المنقلب ، ومن قضى لأخيه المؤمن حاجة قضى الله له حوائج كثيرة احداها الجنة ، ومن كسا اخاه المؤمن عن عرى كساه الله من سندس الجنة واستبرقها

وحـريرهـا ، ولم يزل في رضـوان الله ما دام على المكسـو منهـا سلك ، ومن اطعم اخـاه من جـوع اطعمــه الله من طيبـات الجنــة ، ومن سقـاه من ظمـأ سقاه الله من الـرحيق المختـوم ، ومن اخـدم اخـاه اخـدمـه الله من الـولدان المخلدين واسكنـه مع أوليـائه الـطاهرين ، ومن حمـل اخاه المؤمن من رحله حمله الله على نــاقــة من نــوق الجنــة وبــاهى بــه الملائكة المقـربين يوم القيـامة ، ومن زوج اخـاه المؤمن امرأة يـأنس بها وتشـد عضده ويستـريح اليهـا زوجه الله من حـور العين وآنسه بمن أحب من الصـديقين من أهـل بيتــه واخـوانــه وانسهم بـه ، ومن اعــان اخـاه المؤمن الى منـزلـه لا لحـاجـة منـه اليـه كتب من زوار الله وكــان حقيقـاً على الله ان يكرم زائره .

يـا عبد الله وحـدثني أبي عن آبائـه عن عليّ (عليـه السـلام) انـه سمـع من رسول الله يقـول لاصحـابـه يـومـاً : معـاشـر النـاس انـه ليس بمؤمن من لعن بلسـانـه ولم يؤمن بقلبـه ، فـلا تتبعـوا عثـرات المؤمنين فانه من اتبـع عثرة مؤمن اتبـع الله عثراتـه يوم القيـامة وفضحـه في جوف بيته .

وحـدثني أبي عن عليّ (عليه السـلام) قال : اخـذ الله في ميثـاق المؤمن ان لا يُصَدَّقَ في مقـالتـه ولا يُنْتَصف من عـدوه ولا يشفي غيـظه الا بفضيحـة نفسـه ، لان كـل مؤمن ملجم وذلـك لغـايـة قصيـرة وراحـة طـويلة ، اخـذ الله ميثـاق المؤمن على أشيـاء أيسـرهـا مؤمن مثله يقــول بمقـالته يتعبـه ويحسده ، والشيـطان يغويـه ويعينه ، والسلطان يقفـو أثره ويتبـع عثراتـه ، وكافـر بالـذي هو مؤمن بـه يرى سفـك دمه دينـاً واباحـة حريمه غنماً ، فما بقاء المؤمن بعد هذا يا عبد الله .

وحـدّثني أبي عن آبـائـه عن النبيّ (صلّى الله عليـه وآلــه وسلم) قـال : نـزل جبـرائيـل (عليـه السـلام) فقـال : يـا محمـد ان الله يقـرأ عليـك السـلام ويقـول : اشتققت للمؤمن اسمـاً من أسمــائي ، سميتـه مؤمنــاً ، فـالمؤمن منّي وأنــا منـه ، من استهــان بمؤمن فقــد استقبلني بالمحاربة .

يـا عبـد الله وحــدثني أبي عن آبـائــه (عليهم السـلام) عن عليّ (عليـه السلام) عن النبيّ (صلّى الله عليـه وآلـه) انـه قـال يـومـاً : يـا عليّ لا تناظر رجـلاً حتى تنظر في سـريرتـه ، فان كـانت سريـرته حسنـة فـان الله عز وجـل لم يكن ليخذل وليـه ، وان كانت سـريرتـه رديـة فقـد يكفيـه مساويـه ، فلو جهدت ان تعمـل بـه اكثـر ممـا عمله من معـاصي الله عز وجل ما قدرت عليه .

يـا عبد الله وحـدثني أبي عن آبائـه عن عليّ (عليـه السـلام) عن النبي (صلّى الله عليـه وآله) قـال : أدنى الكفـر ان يسمـع الـرجـل عن أخيـه الكلمة ليحفـظها عليـه يـريـد أن يفضحـه بهـا ، أُولئـك لا خـلاق لهم .

يـا عبد الله حـدّثني أبي عن آبـائـه عن عليّ (عليـه السـلام) انـه قـال : من قال في مؤمن مـا رأت عينـاه وسمعت أذنـاه مـا يشينـه ويهـدم مروأته فهو من الذين قال الله (عز وجلّ): **﴿ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم﴾** .

يـا عبد الله حـدّثني أبي عن آبـائـه عن عليّ (عليـه السـلام) انـه قـال : من روي عن أخيه المؤمن روايـة يريـد بها هـدم مروأتـه وثلبه مـا أوبقـه الله بخطيئتـه حتى يأتي بمخـرج مما قـال ولن يأتي بـالمخرج منه

ابداً ، ومن ادخل على أخيه المؤمن سروراً فقد أدخل على أهل البيت سروراً ، ومن ادخل على أهل البيت سروراً فقد ادخل على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) سروراً ، ومن ادخل على رسول الله (صلّى الله عليه وآله) سروراً فقد سرّ الله ، فحقيق عليه ان يدخله الجنة حينئذ .

ثم انّي أُوصيك بتقوى الله وايثار طاعته والاعتصام بحبله ، فانه من اعتصم بحبل الله فقد هدى الى صراط مستقيم ، فاتق الله ولا تؤثر احداً على رضاه وهواه ، فانه وصية الله عز وجل الى خلقه لا يقبل منهم غيرها ولا يعظم سواها .

واعلم ان الخلائق لم يوكلوا بشيء اعظم من التقوى فانه وصيتنا أهل البيت ، فان استطعت ان لا تنال شيئاً من الدنيا تسأل عنه غداً فافعل .

قال عبد الله بن سليمان : فلما وصل كتاب الصادق (عليه السلام) الى النجاشي نظر فيه فقال : صدق والله الذي لا إله الا هو مولاي .

فما عمل احد بما في هذا الكتاب الا نجى ، فلم يزل عبد الله يعمل به في أيام حياته .

ويتابع الامام الصادق (عليه السلام) عمل آبائه الطاهرين ، في التنبيه على قواعد الحكم الصالح ومنها الحقوق العامة ـ وهي جسم الجماعة ـ بنصوص دستورية يوجزها لتحفظ عنه وتنقل منه . . .

وإليك أمثالاً :

يقـول (عليـه السـلام) : « أفضـل الملوك من اعـطى ثـلاث خصال : الرحمة والجود والبذل » .

ويقـول : « ليس للملوك أن يفـرطـوا في ثـلاثـة : حفظ الثغـور وتفقد المظالم ، واختيار الصالحين لاعمالهم » .

وما هي الا أركان الـدولة الثـلاثة : الجيش والقضـاء والإدارة ، أو مبادىء الحكم الثلاثـة : المنعة في الخـارج بالجيش ، والعـزة بالـداخل بالعدل ، والحكم الصالح بالادارة الحسنة .

ويقول (عليه السلام) : « خير الناس اكثرهم خدمة للناس » .

ويقول أيضاً : « كفارة عمل السلطان قضاء حاجات الاخوان » .

ويقول : « المستبد بـرأيه مـوقوف على مـداحض الزلـل (العثرات) وهي مقـولة تنـطق بها سجـلات الـطغيـان ، حيثمـا كـان ، وفي جميـع الازمان فالزلة الواحدة تـزعزع قـوام الطاغيـة أو المتعصب أو المتحكم ، فهو كالواقف على قدم واحدة .

وتعـاليم الصـادق (عليـه السـلام) في العـدل والـرفق بـالـرعيـة مقولات دستورية في الامة .

يقـول : « ما أوسـع العدل وإن قـلّ » ويقـول : « أمـا ان المـظلوم يأخذ من دين الظالم اكثر مما يأخذ الظالم من مال المظلوم » .

والدنيا قـد تدوم ، والـدولة قـد تقوم ، مـع العدل والكفـر لكنها لا تبقى مـع الظلم ، وان كـان الـظلم واقعـاً على غيـر مسلم ، والله تعـالى يقول في محكم كتابه العزيز ومبرم خـطابه الـوجيز : ﴿**كـونوا قـوامين لله**

شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم شنآن قوم على الاّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾[1] .

يقول الامام الصادق (عليه السلام) : « من نكد العيش السلطان الجائر والجار السوء والمرأة البذيئة » فالسلطان الجائر اذى دائم ومنكر مستمر ، تضيق الدنيا به وإن رحبت كما يضيق المكان ـ على رحبه ـ بالجار السوء ، وتضيق الحياة ـ على رحبها وإن طالت واتسعت ـ مع المرأة الطويلة اللسان .

ومن فساد السلطان أن يتولى سدّته المتكبرون ، والمتعالون في دخيلتهم منحطّون ، يقول الصادق (عليه السلام) : « ما من احد يتيه إلا من ذلةٍ وجدها في نفسه » .

فتعساً لأنظمةٍ يحكمها المتكبرون المتعالون !!

(١) سورة المائدة آية ٨ .



مَوقفُ الامَام مِنَ الثائِرين



قامت على عهد الصادق (عليه السلام) ثورات وانتفاضات عديدة وكانت في غالبها - إن لم نقل كلها - تنطلق من بيوت العلويين والطالبيين ، ولم يكتب النجاح لأي منها . بل كانت النهاية المأساوية تتكرر مع كل انتفاضة أو ثورة : الثورة تخمد والثائرون يُقتَلون ويُصلَّبون ويُشرَّدون .

هكذا كانت النهاية لكل الحركات التي قامت على عهد الصادق (عليه السلام) ، بل هكذا كانت نهاية اكثر الحركات والانتفاضات التي قامت طيلة التاريخ باستثناء بعض منها .

نحن هنا بصدد موقف الصادق (عليه السلام) من هذه الحركات ، فكثيراً ما يلتبس الامر على البعض فيعتقد أن الامام (عليه السلام) كان معارضاً لها مخالفاً للقائمين عليها ، ولعلّ البعض يذهب الى أن الامام (عليه السلام) كان يلعنهم ويبغضهم ، ويجاهر بمخالفته لهم بشدّة الى درجة المحاربة الكلامية .

ولكن حقيقة الامر ليست كما يتصور هؤلاء ، فلو أحرق الامام كتاب (أبي مسلم الخراساني) حين عرض عليه البيعة ، أو حين يرد على (أبي سلمة الخلال) رداً عنيفاً . أو حين ينصح أولاد عبد الله

بن الحسن بعدم القيام في وجه الدولة . فان مثل هذه المواقف الخاصة لا تثبت كون الامام مخالفاً لهم جميعاً ، معارضاً لأصل فكرة القيام ضد الطاغوت ، ولا تنفي كونه مؤيداً لبعضهم .

كتب أبو مسلم الخراساني بعد اعلانه للثورة ضدّ الامويين - كتب للامام الصادق (عليه السلام) « اني اظهرت الكلمة ، ودعوت الناس عن بني أمية الى موالاة (أهل البيت) فإن رغبت فلا مزيد عليك » . وأجاب الامام الصادق (عليه السلام) معلناً فلسفته تجاه أبي مسلم : « ما أنت من رجالي ، ولا الزمان زماني » .

وفي الوقت ذاته بعث أبو سلمة الخلال والذي اصبح فيما بعد وزيراً عند أبي العباس السفاح أول خلفاء بني العباس - بعث الى الامام الصادق (عليه السلام) أيضاً وبعث الى عبد الله بن . . . (الحسن) وعمرو الاشرف ، من أبناء عليّ (عليه السلام) ، مع رجل من مواليه قائلاً له : إن أجاب جعفر فلا تذهب الى غيره ، وإن لم يجب فاقصد الى عبد الله ، فان أجاب فأبطل كتاب عمرو .

وذهب الرسول الى جعفر بن محمد (عليه السلام) فقال له الامام : ما لي ولأبي سلمة ، وهو شيعة لغيري ، ووضع الكتاب في النار حتى احترق - وأبى أن يقرأه . قال الرسول : الا تجيبه ؟ قال : قد رأيت الجواب .

ثم مضى الرسول إلى عبد الله ، فقرأ الكتاب ، وقصد الامام الصادق (عليه السلام) ينبئه بورود الكتاب إليه من شيعته بخراسان فقال له الصادق : ومتى كان لك شيعة بخراسان ؟ أأنت وجهت أبا مسلم إليهم ؟ هل تعرف احداً منهم باسمه ؟ فكيف يكونون شيعتك

وهم لا يعرفونك وانت لا تعرفهم ؟

قال عبد الله : كأن هذا الكلام منك لشيء ؟

قال الصادق (عليه السلام) : قد علم الله اني أوجب النصح على نفسي لكل مسلم ، فكيف ادخره عنك ؟ فلا تمنٍّ نفسك فان الدولة ستتم لهؤلاء .

ان الامام (عليه السلام) ، كان يتخذ المواقف الحكيمة المناسبة استناداً الى علمه بعواقب الامور ، ومعرفته بحقائق الناس ولكن الموقف الثابت الذي يمكننا أن سنتقرأه للإمام من خلال التاريخ تجاه هؤلاء الثائرين هوانه كان يشاطرهم الهدف ويتفق معهم في اصل الفكرة وكان ينصحهم ما وسعه النصح ، واذا استشهد احدٌ منهم تألّم له وبكى عليه وترحّم عليه .

ولا يستبعد ما إذا كان للامام دوراً قيادياً خفياً من وراء المجاهدين والثوار ولكن باسلوب لا يدع مجالاً للشك والريب وطريقة خاصة لئلا يزيد السلطان من نقمته عليه وعلى آله واصحابه وشيعته .

اننا لا نستطيع أن نجزم بأنه كان مؤيداً مائة بالمائة أو مخالفاً مائة بالمائة ، فالقطع بأحد الرأيين لا يقوم على أساس ولكننا امام واقع تاريخي ، وهي هذه الروايات والاخبار التي تؤكد أسف الامام لمن قتلوا وظلموا ، وتعبر عن حزنه العميق وبكائه المرّ على الشهداء من آل أبي طالب وغيرهم ممن نهضوا في وجه الظالم ، وجاهدوا في سبيل الله لتحقيق الحق وتطبيق العدل .

فقد دخل الكاهلي على الامام الصادق (عليه الصلاة والسلام) مقبلاً من الكوفة فقال له الامام : أرأيت عمّي زيداً .

قلت : نعم رأيته مصلوباً ورأيت الناس بين شامت حنق ، وبين محزون محترق .

قال (عليه السلام) أما الثاني فمعه في الجنة ، وأما الشامت فشريك في دمه .

وروى الحسن بن راشد قال : ذكرت زيد بن علي فانتقصته عند أبي عبد الله ، فقال : لا تفعل ، رحم الله عمّي زيداً فانه اتى الى أبي فقال : اني أريد الخروج على هذا الطاغية فقال : (لا تفعل يا زيد فاني اخاف ان تكون المقتول المصلوب بظهر الكوفة) فنهيه انما كان شفقة عليه .

ولا شك أن زيد بن علي (رضوان الله عليه) كان ممن يقول بإمامة الإمام الصادق (عليه السلام) وما يُنسبُ اليه خلاف هذا فهو محض اختلاق ولمن أراد الاستزادة مراجعة كتاب (أبو الحسين زيد الشهيد) للعالم الكبير السيد محسن الامين .

يروي هناك عن يحيى بن زيد انه قال : سألت ابي عن الأئمة ، فقال : الأئمة اثنا عشر أربعة من الماضين وثمانية من الباقين فقلت : سمهم يا أبه .

قال : أما الماضون فعليّ بن أبي طالب والحسن والحسين وعليّ بن الحسين ومن الباقين : أخي الباقر وبعده جعفر الصادق وموسى ابنه وعليّ ابنه ومحمد ابنه وعليّ ابنه والحسن ابنه وبعد

المهدي .

قلت له : يا أبه ألست منهم ؟

قال : لا ولكني من العترة .

قلت : فمن أين عرفت أساميهم ؟

قال : عهد معهود عهده الينا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) .

ونُسب الى زيد هذه الأبيات :

ثوى باقر العلم في ملحد امام الورى طيب المولد
فمن لي سوى جعفر بعده امام الورى الاوحد الامجد
أيا جعفر الخير انت الامام وانت المرجى لبلوى غد

وقد نهض زيد (رضوان الله عليه) على عهد بني أمية اعداء الله واعداء الرسول نهضة انتهت بقتله وقتل أصحابه واستشهدوا جميعاً، ولم يكتف الامويون بقتله حتى صلبوه أربع سنين على اشنع صورة، ثم احرقوه بعد السنين الأربع وذرّوا رماده في الفضاء، حتى لا يبقى له أثر .

وكان الصادق (عليه السلام) يبكيه بحرقه ، ويدعو نساءه وأهل بيته للبكاء عليه .

عن أبي بردة قال : دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فقال : ما فعل زيد ؟ قلت : صلب في الكناسة (كناسة بني أسد) فبكى حتى بكت النساء من خلف الستور ثم قال : اما والله لقد بقي

لهم عنده طَلِبَة ما اخذوها منه ، فكنت أتفكر من قوله حتى رأيت جماعة قد انزلوه يريدون أن يحرقوه فقلت : هذه الطلبة التي قال عنها الصادق (عليه السلام) .

ومن الملاحظ أيضاً ان الامام الصادق (عليه السلام) كان يحاذر بشدة أن يتورط آل البيت في مشاكل لا طائل من ورائها وأن يقعوا في فتن لا يعرفوا كيف النجاة منها ، كان يخاف عليهم من ظلم السلطان وجوره ، وكان (عليه السلام) يترصد للذين يحاولون توريطهم ويبطل محاولاتهم بما أُوتي من علمٍ وحكمة .

عن جعفر بن محمد بن الاشعث قال : قال المنصور الدوانيقي لابي (محمد بن الاشعب) يوماً : ابغ لي رجلاً له عقل يؤدي عنّي ، فقال له أبي : قد اصبته لك ، هذا فلان بن مهاجر خالي ، قال : ائتني به قال : فأتاه بخاله ، فقال له أبو جعفر الدوانيقي : يا ابن مهاجر ، خذ هذا المال - واعطاه الوف الدنانير أو ما شاء الله من ذلك - وائتِ المدينة والقَ عبد الله بن الحسن وعدّة من أهل بيته فيهم جعفر بن محمد فقل لهم : اني رجل غريب من خراسان ، وبها شيعة من شيعتكم وجهوا إليك بهذا المال ، فادفع الى كل واحد منهم على هذا الشرط ، كذا وكذا ، فاذا قبضوا المال فقل : اني رسول واحب أن يكون معي حظوطكم بقبضكم ما قبضتم منّي .

قال : فأخذ المال وأتى المدينة ثم رجع الى أبي جعفر ، وكان محمد بن الاشعث عنده فقال الدوانيقي : ما وراءك ؟

قال : أتيت القوم وفعلت ما أمرتني به ، وهذه خطوطهم بقبضهم المال ، خلا جعفر بن محمد ، فاني اتيته وهو يصلي في

مسجد الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) فجلست خلفه وقلت ينصرف فأذكر له ما ذكرت لأصحابه فعجَّل وانصرف ، ثم التفت اليَّ .

فقال : يا هذا اتق الله ، ولا تغرَّنَّ اهل بيت محمد وقل لصاحبك : اتق الله ولا تغرَّنَّ أهل بيت محمد ، فانهم قريبوا العهد بدولة بني مروان ، وكلهم محتاج .

قال : فقلت : وماذا اصلحك الله ؟

فقال : ادن منّي ، فدنوت منه ، فأخبرني بجميع ما جرى بيني وبينك ، حتى كأنه كان ثالثنا .

فقال أبو جعفر المنصور : يا ابن مهاجر اعلم أنه ليس من اهل بيت النبوة إلا وفيهم محدَّث ، وإن جعفر بن محمد محدَّث اليوم .

ومن الجدير بالذكر ـ هنا ـ كتاب الامام الصادق (عليه السلام) الى عبد الله بن الحسن (من بني عمومته) حين قتل المنصور ولديه وحُمِلَ هو وأهلُ بيته أسرى الى الخليفة . . .

كتب الامام له يعزيه ، ويسليه ، ويصبّره على ما ألمَّ به وما اصابه في سبيل الله ، ويسميه في هذا الكتاب (بالعبد الصالح) « مما يدل على أن الجماعة المحمولين كانوا عند مولانا الصادق (عليه السلام) معذورين وممدوحين ومظلومين وبحبّه عارفين » كما يقول العلّامة المجلسي في بحار الانوار .

وهذا نصّ الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الخلف الصالح والذرية الطيبة من ولد أخيه وابن عمه .

أما بعد : فَلإن كنت تفردت انت واهل بيتك ممن حمل معك بما اصابكم ، ما انفردت بالحزن والغبطة والكآبة ووجع القلب دوني ، فقد نالني من ذلك من الجزع والقلق وحرّ المصيبة مثل ما نالك ولكن رجعت الى ما أمر الله جلّ جلاله به المتقين من الصبر وحسن العزاء حين يقول لنبيّه (صلّى الله عليه وآله وسلم) : ﴿فاصبر لحكم ربك بأعيننا﴾ وحين يقول : ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت﴾ وهو يقول لنبيّه (صلّى الله عليه وآله وسلم) حين مُثل بحمزة (عليه السلام) : ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾ وصبر (صلّى الله عليه وآله وسلم) ولم يعاقب وحين يقول :﴿وأمر أهلك بالصلاة ، واصطبر عليها ، لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾ وحين يقول : ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانّا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة وأُولئك هم المهتدون﴾ وحين يقول لقمان لابنه : « واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور » وحين يقول موسى ﴿وقال لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الأرض يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾ وحين يقول : ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾ . وحين يقول : ﴿ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا

بالمرحمة ﴾ . وحين يقول : ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والانفس والثمرات وبشّر الصابرين﴾ . وحين يقول : ﴿وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحبّ الصابرين ﴾ . وحين يقول ﴿والصابرين والصابرات﴾ وحين يقول : ﴿واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين﴾ وأمثال ذلك من القرآن كثير .

وعلم ان أي عم وابن عم ان الله جل جلاله لم يبال بضر الدنيا لوليه ساعة قط ، ولا شيء احب إليه من الضر والجهد واللأواء مع الصبر ، وانه تبارك وتعالى لم يبال بنعيم الدنيا لعدوه ساعة قط ، لولا ذلك ما كان اعداؤه يقتلون أولياءه ويخيفونهم ويمنعونهم ، واعداؤه آمنون مطمئنون عالون ظاهرون ، ولولا ذلك ما احتجب زكريا وما قتل يحيى ظلماً وعدواناً في بغي من البغايا ، ولو لا ذلك ما قتل جدّك عليّ بن أبي طالب اضطهاداً وعدواناً .

ولولا ذلك ما قال الله عزّ وجلّ في كتابه : ﴿ولو لا ان يكون الناس امّة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون﴾ .

ولولا ذلك لما قال في كتابه : ﴿أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون﴾ .

ولولا ذلك لما جاء في الحديث : « ان الدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة » .

ولولا ذلك ما سقى كافراً منها شربة من ماء .

ولـولا ذلك لمـا جـاء في الحـديث : لـو ان مؤمنـاً على قلة جبـل لابتعث الله له كافراً أو منافقاً يؤذيه .

ولـولا ذلـك لمـا جـاء في الحـديث : انـه إذا أحبّ الله قـومـاً أو احب عبداً صبّ عليه البلاء ، فلا يخرج من غمّ الا ووقع في غم .

ولـولا ذلك لمـا جـاء في الحـديث : « مـا من جرعتين أحب الى الله عـز وجل أن يجـرعهما عبـده المؤمن في الدنيـا من جرعـة غيظ كظم عليها وجرعة حزن عند مصيبة صبر عليها بحسن عزاء واحتساب .

ولـولا ذلك لمـا كـان اصحـاب رسـول الله (صلّى الله عليـه وآلـه وسلم) يـدعـون على من ظلمهم بـطول العمـر وصحـة البـدن وكثـرة المال والولد » .

ولـولا ذلك مـا بلغنا ان رسـول الله (صلّى الله عليـه وآلـه وسلم) كان إذا خص رجلاً بالترحم عليه والاستغفار استشهد » .

فعليكم يـا عم وابن عم وبني عمـومتي واخـوتي بـالصبـر والـرضـا والتسليم والتفـويض الى الله جـلّ وعـز والـرضـا والصبـر على قضـائـه والتمسك بطاعته والنزول عند أمره .

افـرغ الله علينـا صبـراً وعليكم الصبـر ، وختم لنـا ولكم بـالاجـر والسعـادة ، وأنقـذنـا وإيـاكم من كـل هلكـة بحـولـه وقـوتـه انـه سميـع مجيب ، وصلّى الله على صفوته من خلقه محمد النبي وأهل بيته .

ويروي صاحب البحـار نقلاً عن خـالد بن عميـر الكندي مـولى آل حجـر بن عـدي قـال : دخلت على أبي عبـد الله (عليـه السـلام) فقال : هل لكم علمٌ بآل الحسن ، الذين خرج بهم مما قِبَلَنَا ؟

وكان قد اتصل بنا عنهم خبر ، فلم نحب أن نبدأه فقلنا : نرجو أن يعافيهم الله . قال : وأين هم من العافية ؟ ثم بكى حتّى علا صوته وبكينا .

ثم قال : حدّثني أبي عن فاطمة بنت الحسين قالت : سمعت أبي (صلوات الله عليه) : يُقتل منك أو يصاب منك نفرٌ بشط الفرات ما سبقهم الاولون ولا يدركهم الآخرون ، وانه لم يبق من ولدها غيرهم .

الكتب السياسي



لم يعهد التاريخ فئةً أصابها الحيف ، وجار عليها الزمن ، وظلمها الحاكمون أكثر من آل عليّ (عليهم السلام) . فقد كانوا ـ منذ كانوا ـ هدفاً للظالمين والجبارين ، يمارسون معهم صنوف العذاب ويجرعونهم الغصص ، ويحاولون بشتّى الوسائل وبمختلف الطرق أن يخمدوا انوارهم ويستروا معالمهم ، ويصرفوا أنظار الناس عنهم .

لم تكن هناك وسيلة الا استعملت لتضييق الخناق على آل البيت ، من تصفيات جسدية ، وبأساليب متنوعة ، إلى الابادة الجماعية ، والقتل بالجملة ، الى التفنن في اشكال الحبوس وطرق التعذيب ، وجعلهم بين الاسطوانات والبناء عليهم ودفنهم أحياء . . .

وغير ذلك مما يندى له جبين الانسانية ، ويقشعرّ له البدن حتّى انك لتجد صفحة التاريخ مسودة بما ارتكبه سلاطين السوء وحكّام الجور من الجنايات بحق آل البيت (عليهم السلام) وأشياعهم وأتباعهم .

ما من حاكم الا ويده ملطّخةٌ بدماء العلويين ، وأيامه حافلة بقوافل الشهداء من آل البيت ، وتاريخه مشهور بالعسف والجور والكبت والقهر لآل محمد (صلّى الله عليه وعليهم) ، بدءاً بمعاوية بن أبي سفيان وانتهاءاً بيومنا هذا !!

يروىٰ عن الامام (عليه السلام) انه قال :

« ثم لم نـزل اهـل البيت نُستـذَل ونُستـظام ، ونُقصىٰ وَنُمتَهَن ، ونُحرَم ونُقتَل ، ولا نـأمن على دمائنـا ودماء أوليـائنا ، ووجـد الكـاذبـون والجـاحدون لكـذبهم وجحودهم مـوضعـاً . . . فحـدثـوهم بـالاحـاديث المـوضوعـة المكذوبـة ورووا عنـا مـا لم نقله ومـا لم نفعله ، ليبغضـونـا الى النـاس . وكـان عـظمَ ذلـك وكبـره زمن معـاويـة بعـد مـوت الحسن (عليـه السـلام) فقتلت شيعتنـا بكـل بلدة ، وقـطعت الأيـدي والأرجـل على الـظنَّة ومن يـذكـر بحبّنـا والانقـطاع إلينـا سجن أو نهب مـالـه ، أو هدمت داره .

ثم لم يـزل البـلاء يـزداد الى زمـان عبيـد الله بن زيـاد قـاتـل الحسين (عليه السلام) .

ثم جـاء الحجّـاج[1] ، فقتلهم كـل قتلة ، وأخـذهم بكـل ظِنّـة وتهمـة ، حتى أن الرجـل يقال لـه زنـديق أحبُّ إليـه من أن يقـال شيعـة عليّ » .

وفي عصـر البـاقـر (عليه السـلام) كان الحسن البصـري (قـاضي عمـر بن عبـد العـزيـز) إذا روى عن أميـر المؤمنين عليّ بن أبي طـالب (عليـه السـلام) قـال : (قـال أبـو زينب) تقيـة ليخفي الاسم الـذي لا خفاء له !

بـل كـان الشعبي يقـول : « مـاذا لقينـا من آل علي إذا احببنـاهم

(١) اطلق الخليفة سليمان بن عبد الملك من سجون الحجاج في يوم واحد ثمانين ألفاً منهم ثلاثون ألفاً بغير ذنب ، ومنهم ثلاثون ألف امرأة .

قُتلنا وإذا ابغضناهم دخلنا النار » .

وكـان طبيعياً في دولـة « هـرقليـة » أن يكـون همهـا الملك لا الـدين ، تعاقب من تتـوهم خطره عليهـا ، وتترك من تـزندق ، أن تـزداد الاستهانة بالدين في مقابل السلام الذي تنشده الدولة .

بـدأ ذلـك في عهـد معـاويـة وسيستمـرّ استمـرار فسـاد الـدول وستستبقيـه لتصـرف النـاس عن الاهتمـام بـأهـل بيت النبيّ (صلّى الله عليـه وآله وسلم) أو تـوقع بهم لفـرطات تفـرط من احـدهم ، أو تعـزى كذباً اليهم ، منتهزة الفرص ، أو مفتعلة لها في أغلب الأحيان .

كـانت الأوامـر تصـدر من بغـداد الى ارجـاء الامبـراطـوريـة التي تـدين لبني العبـاس أن : « لا يقبـل لعلوي شهـادة ، ولا يقبـل لـه ضيعـة ، ولا يسافـر من الفسطاط الى طـرف من اطـرافهـا ، وأن يمنعـوا من اتخـاذ العبيد !! الا العبـد الواحـد ، (والرقيق يـومذاك قـوة العمل) وإن كـانت بين العلوي وبين أحـد خصـومـه فـلا يقبـل قـول العلوي ، ويقبل قول خصمه بدون بيّنة » .

وكـانـوا يُسفَـرون من الاطـراف الى العـاصمـة ، ليكـونـوا تحت الـرقابـة ، بل امـر الرشيـد أن يضمن العلويون بعضهم بعضـاً ، وكـانـوا يعرضون على السلطان كل يوم ، فمن غاب عوقب . .

وكـأن « أهـل بيت النبيّ (صلّى الله عليـه وآلـه وسلم) » جـاليـة من العدو أو شرذمة من المشبوهين .

ولقـد كان للحيـطة يكفي أقل القليـل من حـاكم يُـريـد أن يـطمئن انمـا كـان ذلـك الكيـد ، سيـاسـة إبـادة مستمـرة ، يشتـرك في تنفيـذهـا

الخلفاء ، والاشياع الظلمة ، تدفع الثائرين إلى أن يثوروا فيؤخذوا بثوراتهم ، أو يؤخذ غيرهم بجرائر تنسب إليهم .

أما سياسة أهل البيت (عليهم الصلاة والسلام) ، فواضحةٌ من شعار أبناء عليّ (عليه السلام) في كلمة مسلم بن عقيل « إنا أهل بيت نكره الغدر» وكلمة الامام الصادق (عليه السلام) « الإيمان قيد الفتك » .

أما شعار حاشية معاوية فكان « إن لله جنوداً من عَسل » يقصدون دسّ السمّ إلى مخالفيهم ومعارضيهم فيه .

وطالما استعمل الطغاة السمّ في أهل البيت (عليهم السلام) فإن لم يكن سمٌ في خفاء ، فالقتل جهرةً ومعلوم أن الأئمة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام) ، قضوا مسمومين ما عدا أمير المؤمنين عليّاً وأبا الشهداء الحسين بن علي (عليهما السلام) ، قتلاً شهيدين بالسيف .

في أيام الخليفة الهادي كان أهل البيت في المدينة يُستعرضون كل يوم ! لكل واحد منهم كفيل من نسيب أو قريب ، بل وُلي عليهم واحد من ذرية عمر بن الخطاب هو عبد العزيز بن عبد الله الحائك في المقصورة ، فثارت لأجلهم المدينة إذ ثاروا وكسرت السجون ، وأخرج المسجونون ، وبويع للحسين بن علي بن الحسن فبقي واحداً وعشرين يوماً بالمدينة ، ثم ارتحل بعدها الى مكة ، فأقام بها الى زمن الحج .

وقال له الكاظم موسى بن جعفر (عليه السلام) : « أنت مقتول . . . وعند الله عز وجل احتسبكم من عصبه . . » .

وجهّز الهادي العباسي جيشا لاقاه حيث استشهد في موقع يقال له (فخ) ومعه كثيرٌ من العلويين . وحمل رأسه ورؤوس أصحابه الى القائد العباسي ، واستعرضوا الرؤوس بالمدينة ، فقال الكاظم (عليه السلام) عندما عرضوا رأس الحسين : « انّا لله وإنّا إليه راجعون ، مضى والله مسلماً ، صالحاً صوّاماً ، قواماً ، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، ما كان في أهل بيته مثله » .

وكان مع الحسين يحيى بن عبد الله بن الحسن (أخو محمد وابراهيم وادريس أبناء عبد الله بن الحسن) فلما انتهت المعركة استتر ، ثم ظهر ، فخرج على هارون في بلاد الديلم ، ووجه اليه هارون العباسي جيشاً بقيادة الفضل بن برمك حتى استسلم بعهد مكتوب ، ومع ذلك استفتى الرشيد العلماء لقتله فأبى بعضهم ومنهم محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة وقال لهارون : ما تصنع لو كان محارباً وولى كان آمناً .

لكن هارون وجد من علماء السوء من أفتاه بقتله ، وكان هو أقدر على النفاق السياسي من مفتيه .

أخذ من المفتي ما يملكه ، ليصنع هو ما يقدر عليه ، فسجن يحيى وضيق عليه الخناق حتى مات في سجنه ، كمثل ما استشهد في سجنه الامام الكاظم (عليه السلام) ويشهد الرشيد الناس عليه ، ليبرىء نفسه من تهمة اغتياله ودسّ السمّ اليه .

أما الاخ الرابع إدريس فأفلت هارباً الى مصر ، ثم الى المغرب ، وقيل دسّ اليه هارون هناك من سمّهُ ، فأسس ابنه دولة الادارسة في المغرب .

وسيموت في حبس هارون كذلك عبد الله بن الحسن (الافطس) قتله جعفر بن برمك وزير هارون ، وسيموت في حبسه محمد بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن الحسن ، والعباس بن محمد بن عبد الله ، وكذلك الحسين ابن . . . عبد الله بن جعفر .

وفي عهد المأمون وجه الى جماعة من آل أبي طالب ، فحملوا اليه في مرو عاصمة خراسان وعلى رأسهم الامام علي بن موسى الرضا (عليه الصلاة والسلام) « بن الكاظم بن الصادق » (عليهما السلام) ، فأرغم الامام على قبول ولاية العهد ـ وكانت لعبة سياسية اخرى قصد بها المأمون تدعيم أركان ملكه المتزلزل ، فرفض الامام بشدّة ، فتهدّده بقوله : « إن عمر جعل الشورى في ستة آخرهم جدّك ، وقال من خالف فاضربوا عنقه ، ولا بدّ لك من قبول ذلك » فقبل الامام وبويع بولاية العهد شريطة أن لا تكون له يد في شؤون الحكم والسلطة اطلاقاً . . .

ولكن المأمون دسّ اليهم السم في عنب بعد أن استنفذ مآربه السياسية وغاياته الدنيئة وقضى الامام مسموماً في خراسان حيث مرقده الآن .

وتستمرّ عجلات الطغيان في الدوران ، وتتوالى مقاتل الطالبيين توالي الخلفاء العباسيين ـ ففي بدء عهد المأمون يقتل بالعراق الحسن بن الحسين بن زيد عند قنطرة الكوفة مع أبي السرايا ، والحسن بن اسحق بن علي في وقعة السوس ، ومحمد بن الحسن بن الحسين يقتل باليمن . . . وغيرهم كثير .

وفي عهد المعتصم خرج محمد بن القاسم بالطالقان فقبض

عليـه عبـد الله بن طـاهـر وبعث بـه الى الخليفـة ، فقتله ، وحبس المعتصم عبد الله بن الحسن بن جعفر حتّى مات في سجنه .

واستمـرّت ريـاح البـلاء تهب على آل البيت في أيـام الخلفـاء الذين علاهم جنون العظمـة والفزع ، ولم يكـونوا ليستـريحوا الى القتـل والابـادة فحسب ، بـل تـطاولـوا حتى على قبـور العلويين والأئمـة من أهـل البيت (عليهم السـلام) . فلقـد ازال المتـوكـل قبـر أبي عبـد الله الحسين (عليـه السلام) وحـرثه[1] حتى لا يُـزار ، وشتّت شمل الشيعـة وفـرقهم في النـواحي ، فمنهم من حُبسـوا ومنهم من تـواروا عن الانـظار حتى ماتوا في مهربهم . . .

ولا نستـطرد للسـرد ، فليس في تـاريخ البشـريـة ، كلهـا أسـرة شُـردت ، وجُـرّدت ، وذاقت العـذاب والاستـرهـاب ، مثـل اهـل بيت النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) .

بـدأ بهم تـاريـخ الاسـلام مجـده ، واستمـر فيهم ، قـدم أبـوهم

(١) في ذلك قال ابن السكيت العالم النحوي الكبير ، وكان يعلم ولدي المتوكل :

تـالله إن كـانـت اميـة قـد أتـت ... قـتـل ابـن بـنـت نـبـيّـهـا مـظلومـا
فـلقـد أتـاه بـنـو أبـيـه بـمـثـله ... هـذا لـعـمـرك قـبـره مـهـدومـا
اسـفـوا على ان لا يـكـونـوا شـاركـوا ... فـي قـتـله فـتـتـبـعـوه رمـيـمـا!

وربما أراد المتوكل أن يتأكد من صدور هذا الشعر من ابن السكيت ، أو من ولاءه له فسأله : أيها احسن وأفضل عندك ؟ ولداي (المؤيد والمعتز) أم الحسن والحسين ؟ فقال ابن السكيت ما مضمونه : ان تراب نعال الحسن والحسين أفضل من ولديك ، لأنهما سيّدا شباب أهل الجنة وابنا رسول الله .

فلم يرض المتوكل هذا الجواب ، فأمر بقتله فقتله شرّ قتلة ، ولم يلبث هو الا قليلاً حتى قتله ابنه (المنتصر) !

للبشرية أسباب خلاصها بكتاب الله وسنّة الرسول ، وقدم اهل بيته أرواحهم في سبيل الله والقيم التي نزل بها القرآن وجاءت بها السنّة . كانت مصابيحهم تتحطّم ، لكن شعلتهم لا تنطفىء ، لتخلد الجهاد والارشاد والاستشهاد ، بالمثل العالي الذي كانوه ، والضوء الذي لم تمنع الموانع من انتشاره ، وعَلَّم فيه ابناء النبيّ امته بعض علومه :

إن الاستشهاد حياة للمستشهدين وللأحياء جميعاً .

وأبى الله عز وجل الاّ أن يظل آل البيت قمماً شامخة ، وأنواراً ساطعة ، تستنير الامة بهداهم ، وتنهل من معينهم ، فهم - رغم محاولات الاقزام - سادوا الامة ، وحملوا مشاعر الفكر الاسلامي ، وظلوا قادة العباد وساسة البلاد ، واعلام الهدى ، وهم الباقون ما بقي الدهر - حلفاء القرآن وحماة الاسلام . **﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متمُّ نورِهِ ولو كره الكافرون﴾**[1] .

ولا بدّ للمسلم - حين يتصفّح التاريخ - أن تعتريه حالةٌ من الحزن والاسف لما انتاب اهل البيت من الاهوال والمحن ، ولما لحقهم من الأذى في سبيل الله .

ولم يكن الامام الصادق (عليه السلام) ، بمنجىً من هذه النوائب والمصائب ، بل لعله عانى اكثر من غيره بسبب أيامه التي طالت اكثر من غيره من الأئمة (عليهم السلام) ، فلقد حاول الخلفاء قتله مرات ومرات ، واستُجلب كثيراً الى العاصمة ، يراد به

---

(١) آية ٨ سورة الصف .

السوء ولكنَّ العناية الربانية كانت تعصمه منهم وتدفع عنه ضرّهم ، ولقد اشعلوا النار في داره مرّةً ، بأمر المنصور الدوانيقي ، محاولين احراق الدار بمن فيها من النساء والاطفال .

ذكر المفضل بن عمر أن المنصور العباسي وجه الى حسن بن زيد وهو واليه على الحرمين ـ أن أحرق على جعفر بن محمد داره ، فألقى النار في دار أبي عبد الله (عليه السلام) ، فأخذت النار في الباب والدهليز فخرج أبو عبد الله يتخطّى النار ويمشي فيها ويقول : « أنا ابن أعراق الثرى[1] أنا ابن ابراهيم خليل الله » فانطفأت النار بإذن الله .

ولشدّة الضغط عليه ، كان شيعته يخافون ويحذرون ملاقاة الامام والسلام عليه وعرض أسئلتهم عليه ، حتى انه مرَّ يوماً في طريقه على بعض أشياعه ، فما أن لمح الشيعيُّ الامام من بعيد ، ورآه مقبلاً حتى اشاح بوجهه ، واعرض عنه وكأنّه لم يرَ الامام (عليه السلام) .

فلما كان الغد ، أقبل خيفةً الى دار الامام معتذراً عمّا بدر منه البارحة من الاعراض وعدم الابتدار بالسلام . . فقبل الإمام عذره بل وشكره على صنيعه ذلك ، لأنه بعمله ذاك راعى قواعد التقية من أعداء الله !

روي عن هارون بن خارجة قال :

---

(١) لعله أراد (باعراق الثرى) اسماعيل عليه السلام ابن ابراهيم الخليل كناية . وانما كنى عنه باعراق الثرى لأن أولاده انتشروا في البراري .

كان رجل من أصحابنا طلق امرأته ثلاثاً ، فسأل بعض اصحابه فقالوا : ليس بشيء ، فقالت امرأته : لا أرضى حتى تسأل أبا عبد الله وكان بالحيرة حينئذٍ أيام أبي العباس السفاح ، قال : فذهبت الى الحيرة فلم أقدر على الوصول للإمام ، لأن الخليفة منع الناس من الدخول على أبي عبد الله وأنا أنظر كيف ألتمس لقاءه ، فإذا (سواديٌّ) عليه جبّة صوف يبيع خياراً فقلت له : بكم خيارك هذا كله ؟ قال : بدرهم . فأعطيته درهماً وقلت له : اعطني جبّتك هذه ، فأخذتها ولبستها ، وناديت من يشتري خياراً حتىٰ دنوت من دار الامام (عليه السلام) ، فإذا غلام ينادي : يا صاحب الخيار ، ثم أدخلني الدار فدخلت على الامام وسلّمت عليه ، فقال (عليه السلام) : ما اجود ما احتلت ، أي شيء حاجتك ؟

قلت : اني ابتليتُ فطلّقت اهلي في دفعة ثلاثاً ، فسألت أصحابنا فقالوا : ليس بشيء ، وإن المرأة قالت : لا أرضى حتى تسأل أبا عبد الله (عليه السلام) .

فقال : ارجع الى اهلك فليس عليك شيء .

وللسائل أن يسأل : لو كانت الحالة هذه فكيف كان الصادق (عليه السلام) يجلس للتدريس والتعليم ؟ وكيف شاعت عنه هذه الكثرة من الاخبار والروايات ؟ ومتى تتلمذ عليه الآلاف من أهل العلم والفكر والادب ؟ في الجواب نقول : كل هذا وقع في الفترة المحدودة التي اتصلت بأواخر العهد الاموي وبدايات العباسيين ، اما الفترات الاخرى وبخاصة المدة الاخيرة من حياته (عليه السلام) فقد كانت عصيبة جداً حالكةً كثيراً .

ولا منافاة أيضاً بين ما كان يصيبه من الحيف والجور وبين مواصلته وعمله الدؤوب لخدمة الاسلام ، واجتهاده في ترسيخ دعائم الدين ، متحملاً في سبيل ذلك كل ألوان العذاب والقهر والظلم .

كان الصادق (عليه السلام) في أيامه سيّد آل البيت وزعيمهم وشيخهم الذي انضوى آل عليّ تحت لواءه ، وعقدوا له الولاء ، ودانوا له بالفضل ، من هنا كانت السياسة الحاكمة تنظر إليه بمنظار آخر ، وربما حملته تبعات قومه من الثائرين والمعارضين ، فكانت الحكومات تخافه وتحذره أشدّ الحذر ، ولعل شدّة الازمة للصادق (عليه السلام) كانت على عهد المنصور الدوانيقي . فقد نال العلويون في عهده نصيبهم الاوفى من الاستذلال والجور وقُتِلَ في أيامه اكثر من مائة وخمسين من رؤوس آل أبي طالب ، عدى من سقطت اسماؤهم من التاريخ ، أو تناستهم الأيام ، أو جهلهم المؤرخون .

روى الحاكم أبو أحمد محمد بن محمد بن اسحق الانماطي النيسابوري ، بسند متصل قال : انه لما بنى المنصور الأبنية ببغداد ، جعل يطلب العلوية طلباً شديداً ، ويجعل من ظفر منهم في الاسطوانات المجوَّفة المبنية من الجصّ والآجر ، فظفر ذات يومٍ بغلامٍ حسن الوجه ، عليه شعرٌ أسود من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) فسلَّمه الى البنّاء الذي كان يبني له ، وأمره أن يجعله في جوف اسطوانة ويبني عليه ، ووكل به من ثقاته من يراعي ذلك ، حتى يجعله في جوف اسطوانة بمشهده ، فجعله البنّاء في جوف اسطوانة ، فدخلته رقةٌ عليه ورحمة له ، فترك في الاسطوانة فرجةً يدخل منها الهواء للتنفس . وقال للغلام : لا بأس

عليـك ، فاصبـر فـاني سـأخـرجـك من جـوف هـذه الاسـطوانـة إذا جنَّ الليل .

وجاء في الليل الحـالك مغتنمـاً ظلمته ، واخـرج ذلك العلوي من جـوف تلك الاسطوانـة ، وقـال لـه : اتق الله في دمي ودم الفعلة الـذين معي ، وغيّب شخصـك فـاني انمـا أخـرجتـك في ظلمـة هـذه الليلة من جـوف هـذه الاسـطوانـة لأني خفت أن يكـون جـدّك رسـول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) خصمي يوم القيامة لو تركتك فيها .

ثم أخـذ شعره بـآلات الجصـاصين كمـا امكن ، وقـال لـه : غيّب شخصك وانج بنفسك ، ولا ترجع الى امّك .

قـال الغـلام : إن كـان هـذا هكـذا فعـرّف امّي أني قـد نجـوت وهربت لتطيب نفسهـا ، ويقلَّ جـزعها وبكـاؤها إن لم يكن لعـودي إليها وجه .

فهـرب الغـلام ، ولا يـدري أين قصـد من ارض الله ، ولا الى أي بلد وقـع ، قال ذلـك البناء : وقـد كان الغـلام عـرفني مكـان امـه ، واعـطاني العلامـة من شعره ، فـانتهيت اليهـا في المـوضـع الـذي كـان دلّني عليـه ، فسمعت دويـاً كـدويّ النحـل من البكـاء ، فعلمت انهـا امه ، فدنوت منها وعرَّفتها خبر ابنها واعطيتها شعره وانصرفت .

ومـا أكثـر مـا كـان يجلب المنصـور الامـام الصـادق (عليـه السـلام) ، مصممـاً على التخلّص منـه بـأي شكـل من الاشكـال فقـد كان شديـد الحذر ـ كمـا ذكرنـا ـ من العلويين عامـة ومن الامام الصـادق (عليـه السـلام) خـاصـة ، وكـان ينـظر إليـه على انـه زعيم العلويين وسيّدهم المطاع ، وكـان يرى فيـه الثورة الصـامتة ، وكـان يعلم يقيناً ان

الامام (عليه السلام) ، وإن لم يعلن الحرب عليه ـ الا انه من اكبر المعترضين على سياساته الغاشمة ، ومن أشدّ المستنكرين لجرائمه وجناياته . وإن كلمة الامام مسموعة لدى جمهرة كبيرة من المسلمين ، وان مكانته في نفوس الناس عظيمة ، لا يرتقي إليها أحد .

لهذه الأسباب ولغيرها من العوامل ـ كان مجرد وجود الامام (عليه السلام) يقضّ مضجع المنصور ويؤرقه ، ويسلبه الراحة والاستقرار .

كان يقرر التخلص من الامام والقضاء عليه بين الفينة والاخرى ولكنه ـ وفي كل مرة ـ كان يرى بعينِهِ ، ويلمس بيده العناية الإلهية ، ترعى الامام وتكلأه وتحفظه من كيده ومكره .

فقد رُوي عن محمد بن عبد الله العسكري ، قال : كنت من جملة ندماء المنصور وخواصه ، وكنت صاحب سرّه من بين الجميع .

دخلت عليه يوماً فرأيته مغتمّاً ، وهو يتنفس نفساً بارداً فقلت ما هذه الفكرة يا أمير المؤمنين فقال : يا محمد ، لقد هلك من أولاد فاطمة (عليها السلام) مقدار مائة وقد بقي سيّدهم وإمامهم ، فقلت له : من ذاك ؟ قال : جعفر بن محمد ، فقلت له : يا أمير انه رجل انحلته العبادة واشتغل بالله عن طلب الملك والخلافة .

فقال : يا محمد وقد علمت انك تقول به وبإمامته ، ولكن الملك عقيم .

وقـد آليت على نفسي أن لا امسي عشيتي هـذه ، أو أفـرغ منـه قـال محمد : والله لقـد ضـاقت عليَّ الأرض بـرحبهـا ، ثم دعى سيـافـاً وقـال لـه : إذا أنـا احضـرت جعفـر بن محمـد ، وشغلتـه بـالحـديث ، ووضعت قلنسـوتي عن رأسي فهـو العـلامـة بيني وبينـك ، فـأضـرب عنقـهُ ، ثم احضَـرَ أبـا عبـد الله (عليـه السـلام) ، في تلك السـاعـة ، ولحقتـه في الدار وهـو يحـرك شفتيـه ، فلم أدر مـا الـذي قـرأ ، فـرأيت القصـر يمـوج ، كـأنّـه سفينـة في لجج البحـار ، ورأيت أبـا جعفـر المنصـور وهو يمشي بين يـديه حـافي القدمين ، مكشـوف الرأس ، قـد اصطكّت اسنانه ، وارتعدت فـرائصه ، يحمـرُّ ساعـة ، ويصفرُّ اخـرى ، وأخـذ بعضـد أبي عبـد الله الصـادق وأجلسـه على سـريـره ، وجثى بين يـديه كمـا يجثو العبـد بين يدي مـولاه ثم قال لـه : يـا ابن رسـول الله ـ ما الذي جاء بك في هذه الساعة ؟

قال : جئتك طاعة لك .

قال : ما دعوتك ! والغلط من الرسول ثم قال : سل حاجتك .

فقال : أسألك أن لا تدعوني لغير شغل .

قال : لك ذلك وغير ذلك .

ثم انصرف أبو عبد الله سريعاً ، وحمدت الله عز وجل كثيراً .

ودعى أبـو جعفـر بلحـاف التحف بـه ونـام ، ولم ينتبـه الا في نصف الليـل ، فلما انتبـه كنت عنـد رأسـه جـالسـاً فسرّه ذلـك . وقـال لي : لا تخرج حتى اقضي ما فاتني من صلاتي فاحدثك بحديث .

فلمـا قضى صلاتـه أقبل علي وقـال لي : لمـا احضـرت أبـا عبـد

الله الصادق وهممت به ما هممت من السوء رأيت تنّيناً قد حوى بذنبه جميع داري وقصري ، وقد وضع شفته العليا في اعلاها والسفلى في أسفلها ، وهو يكلمني بلسان طليق : يا منصور إن الله تعالى قد بعثني إليك وأمرني إن أنت احدثت في أبي عبد الله الصادق حدثاً ، ابتلعتك ومن في دارك جميعاً . فطاش عقلي وارتعدت فرائصي ، واصطكت أسناني (قال محمد بن عبد الله) الاسكندري : قلت له : ليس هذا بعجيب يا أمير المؤمنين وعنده من الاسماء وسائر الدعوات ما لو قرأها على الليل لأنار ، ولو قرأها على النهار لأظلم . . .

ومرّة اخرى بعث لاحضار الامام الصادق (عليه السلام) بين يديه واستقبله في (القبة الحمراء) وقد عقد العزم هذه المرة أن يقتل الامام بنفسه ـ وحالت إرادة الله بينه وبين ما يريد ونجا الصادق (عليه السلام) .

روى محمد بن الربيع قال : دعا المنصور أبي الربيع فقال له : يا ربيع انك تعرف منزلتك منّي ، واني يكون لي الخبر ولا تظهر عليه أمهات الأولاد ، وتكون انت المعالج له .

فقال : قلت : يا أمير المؤمنين ذلك من فضل الله عليّ ، وفضلك وما فوقي في النصح غاية . قال : كذلك انت ، سر الساعة الى جعفر بن محمد بن فاطمة ، فأتني به على الحال الذي تجده عليه ، لا تغيّر شيئاً مما هو عليه .

فقلت : انا لله وانا إليه راجعون ، هذا والله هو العطب ، إن أتيت به على ما أراه من غضبه قتله ، وذهبت الآخرة ، وإن لم آت به وادّهنت في امره قتلني ، وقتل نسلي ، واخذ اموالي .

فخُيّرت بين الدنيا والآخرة ، فمالت نفسي الى الدنيا .

قال محمد بن الربيع : فدعاني أبي وكنت فظّاً غليظاً فقال لي : امض الى جعفر بن محمد ، فتسلّق على حائطه ، ولا تستفتح عليه باباً ، ولكن انزل عليه نزولاً ، فأت به على الحال التي هو فيها .

قال : فأتيته وقد ذهب الليل الا اقله ، فأمرت بنصب السلالم وتسلّقت عليه الحائط ، فنزلت عليه داره ، فوجدته قائماً يصلّي وعليه قميص ومنديل قد ائتزر به ، فلما سلّم من صلاته قلت له : أجب أمير المؤمنين .

فقال : دعني أدعو وألبس ثيابي .

قلت : ليس الى تركك وذلك سبيل .

قال : وادخل المغتسل فأتطهّر .

قلت : وليس إلى ذلك سبيل فلا تشغل نفسك ، فاني لا أدعك تغيّر شيئاً .

قال : فأخرجته حافياً حاسراً في قميصه ومنديله ، وكان قد جاوز السبعين . ! !

فلما مضى بعض الطريق ، ضعف الشيخ فرحمته فقلت له اركب ، فركب بغلاً كان معنا ، ثم صرنا الى الربيع فسمعت المنصور يقول له : ويلك يا ربيع قد أبطأ الرجل ، وجعل يستحثّه استحثاثاً شديداً ، فلما أن وقعت عين الربيع على جعفر بن محمد وهو بتلك

الحال بكى .

وكان الربيع يتشيّع فقال له جعفر بن محمد : أنا اعلم - يا ربيع - ميلك إلينا ، فدعني أصلّي ركعتين وادعو .

قال : شأنك ما تشاء ، فصلّى ودعا بدعاء لم أفهمه والمنصور في ذلك كله يستحثّ الربيع . فلما فرغ من دعائه على طوله ، أخذ الربيع بذراعيه وادخله على المنصور ، فلما صار في صحن الايوان وقف ثم حرّك شفتيه بشيء لم أدر ما هو ثم دخل ، فلما نظر إليه المنصور ابتدره قائلاً : وأنت يا جعفر ما تدع حسدك وبغيك ، وإفسادك على بني العباس وما يزيدك الله بذلك الا شدّة حسد ونكد ما تبلغ به ما تقدره .

فقال له الامام (عليه السلام) : والله ما فعلت شيئاً من هذا ، ولقد كنت في ولاية بني امية ، وانت تعلم أنهم اعدى الخلق لنا ولكم ، وانهم لا حق لهم في هذا الامر ، فوالله ما بغيت عليهم ، ولا بلغهم عنّي سوء مع جفاهم الذي كان بي ، وكيف أصنع الآن هذا ؟ وأنت ابن عمّي وأمسُّ الخلق بي رحماً ، واكثرهم عطاءً وبراً ، فكيف أفعل هذا ؟

فأطرق المنصور ساعه ، وعليه لباس صوف أخفى تحته سيفاً . ثم قال : أبطلت وأثمت ، ثم رفع ثني الوسادة فأخرج منها أضبارة كتب ورمى بها إليه وقال : هذه كتبك الى اهل خراسان تدعوهم الى نقض بيعتي ، وأن يبايعوك دوني .

فقال : والله ما فعلت ، ولا استحل ذلك ، ولا هو من مذهبي وقد بلغت من السنّ ما قد اضعفني عن ذلك لو أردته ، فصيرني في

بعض حبوسك حتّى يأتيني الموت فهو منّي قريب .

قـال المنصور : لا ولا كـرامة ثم اطـرق هنيئة ثم رفـع رأسه وسـلَّ شبـراً من سيفه ثم اعـاده وقال : يـا جعفـر أمـا تستحيي من هـذه الشيبـة ومـع هذا النسب أن تنـطق بالبـاطل ، وتشق عصـا المسلمين ؟ تريـد أن تريق الدماء وتطرح الفتنة بين الرعية والأولياء .

فقـال الصـادق (عليـه السـلام) لا والله مـا فعلت ولا هـذه كتبي ولا خـطّي، ولا خاتمي ، فـانتضى من السيف ذراعاً (يقـول الربيـع) : فقلت : انـا لله مضى والله الـرجـل ، وجعلت في نفسي إن أمـرني فيـه بـأمر أن أعصيـه ، لأنني ظننت انه يـأمرني أن آخـذ السيف فـأضـرب بـه جعفــراً ، فقلت ان امـرني ضــربتـه بسيفــه وإن أتى ذلــك عليَّ وعلى ولدي . وتبتُ الى الله ما كنت نويتُ فيه أولاً .

فـأقبل يعـاتبـه وجعفـر يعتـذر . ثم انتضى السيف الا شيئاً يسيـراً منـه فقلت : ذهب والله الرجـل ولكنـه اغمـد السيف مـرة ثـالثـة واطـرق سـاعة ثم رفـع رأسه وقـال : أظنك صـادقاً ، يـا ربيـع هـات الصنـدوق الفـلاني ، فأتيتـه به فـأخرج منهـا غاليـة واهداهـا لجعفر واعـطاه عشـرة آلاف دينار وأركبه على احسن دوابه وشيعه حتى الباب .

وقـال : شيّعه الى منـزله مكـرماً ، وخيّـره إذا أتيت به الى المنـزل بين المقام عندنـا فنكرمـه والانصراف الى مـدينة جـدّه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) .

فخـرجنا من عنـده وأنا مسـرور فرح بسـلامة جعفـر ومتعجب ممـا أراد المنصـور ومـا صـار إليـه من امـره ، فلمـا صـرنـا في الصحن قلت لـه : يا ابن رسـول الله ، اني لاعجب مما عمـد اليه هـذا بك ، ومـا

أصـــارك الله إليـه من كفـــايتـه ودفـــاعـــه ، ولا عجب من أمـــر الله عـــز وجل . . .

فقـال الامام : دعـوت بدعـاء الكرب والشـدة ودعاء الـرسول يـوم الاحزاب .

ثم قـال : ولولا خـوفي لدفعت اليـك هـذا المـال ، ولكني اهبـك أرضي في المدينة ـ تلك التي طلبتها منّي بعشرة آلاف دينار . . .

وظـلّ في نفس الربيـع ما رأى أن يسـأل عنه المنصـور . . وسـألـه أخيـراً فأخـذ عليه العهـود والمواثيق ان لا يـذيع سـرّه ثم اخبره انـه تمثل لـــه رسـول الله (صلّى الله عليـــه وآلـــه وسلم) في كـــل مـــرّة همّ بقتله فخاف وكان منه ما كان .

وفي هـذه الظروف الحـرجة التي يمـرّ بها الامـام (عليه السـلام) ومـا يكتنفـه من خـطر السلطة الغـاشمـــة ، ينشط المنـافقـــون والـوشـــاة وأربـاب التـزلف والتملق الى السـلاطين ، واتخـذوا من الامـــام (عليـه السلام) ، خير هدف لنبال وشاياتهم وخباثاتهم ، فكـانوا يـوغرون صـدر الخليفة بما يبثون اليه من أباطيل وتهمٍ وافتراءات .

عن الـرضا (عليـه السلام) عن أبيـه قال : جـاء رجل الى جعفـر بن محمـد (عليه السـلام) فقال لـه : أُنجُ بنفسـك هذا فـلان بن فـلان قـد وشى بك الى المنصـور وذكر انـك تأخـذ البيعة لنفسـك على الناس لتخرج عليهم .

فتبسّم وقـــال : يـــا عبـــد الله ، لا تُـــرَعْ فـــان الله إذا أراد فضـيلة كُتمت أو جحـدت أثار عليهـا حاسـداً بـاغيـاً يحـركهـا حتى يبينهـا أقعـد

معي حتى يأتيني الطلب ، فتمضي معي الى هناك حتى تشاهد ما يجري من قدرة الله التي لا معزل عنها لمؤمن .

فجاؤوا وقالوا : أجب أمير المؤمنين ، فخرج الصادق (عليه السلام) ودخل على المنصور وقد امتلأ غيظاً وغضباً ، فقال له : أنت الذي تأخذ البيعة لنفسك على المسلمين ؟ تريد أن تفرق جماعتهم ، وتسعى في هلكتهم ، وتفسد ذات بينهم ؟

فقال الصادق (عليه السلام) : ما فعلت شيئاً من هذا .

قال المنصور : فهذا فلان يذكر انك فعلت .

قال : انه كاذب .

قال المنصور : أني أحلّفه إن حلف كفيت نفسي مؤنتك .

قال الصادق (عليه السلام) : انه إن حلف كاذباً باء بإثم .

قال المنصور لحاجبه : حلّف هذا الرجل على ما حكاه عن جعفر .

فقال الحاجب : قل والله الذي لا إله الا هو . . . وجعل يغلظ عليه اليمين .

فقال الصادق (عليه السلام) : لا تحلّفه هكذا ، فاني سمعت أبي يذكر عن جدّي رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) انه قال : إن من الناس من يحلف كاذباً ، فيعظّم الله في يمينه ويصفه بصفاته الحسنى ، فيأتي تعظيمه لله على اثم كذبه ويمينه ، فيؤخر عنه البلاء ، ولكني احلفه باليمين التي حدّثني أبي عن جدّي رسول الله ،

انه لا يحلف بها حالف الّا باء بإثمه .

فقال المنصور : فحلفه إذاً يا جعفر .

فقال الصادق للرجل : قل إن كنت كاذباً عليك فقد برئتَ من حول الله وقوته ، ولجأت الى حولي وقوتي .

فقال الرجل ، فقال الصادق (عليه السلام) : اللهم إن كان كاذباً فأمته ، فما استتم حتى سقط الرجل ميتاً واحتمل .

وأقبل المنصور على الصادق (عليه السلام) ، فسأله عن حوائجه فقال (عليه السلام) : ما لي حاجة الا أن اسرع الى أهلي ، فان قلوبهم متعلقة بي . فقال : ذلك اليك فافعل ما بدا لك ، فخرج من عنده مكرّماً قد تحيّر المنصور مما رأى وتحيّر من كان حوله .

ويظنُّ البعض أن سبَّ عليّ (عليه السلام) كان سمة الدولة الاموية فحسب ، بيد أن القارىء في التاريخ يجد أن هذه البدعة المنكرة تكررت على عهد العباسيين أيضاً ، وكان الامام الصادق (عليه السلام) ، يعاني منها في زمن المنصور ، ففي امالي الشيخ الطوسي (رضوان الله عليه) ، عن عبد الله بن سليمان التميمي قال :

لما قُتِل محمد وابراهيم ابنا عبد الله بن الحسن بن الحسن ، صار الى المدينة رجل يقال له شيبة بن غفال ، ولّاه المنصور على اهلها فلما قدمها وحضرت الجمعة ، صار الى مسجد النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، فرقي المنبر ، وحمد الله واثنى عليه ثم قال :

أمـا بعد فـان علي بن أبي طـالب شقَّ عصـا المسلمين ، وحـارب المؤمنين ، وأراد الامـر لنفسه ، ومنعـه اهله ، فحـرمـه الله عليـه وامـاتـه بغصتـه ، وهؤلاء ولـده يتبعــون أثـره في الفســاد ، وطلب الامـر بغيــر استحقاق له ، فهم في نواحي الأرض مقتولون وبالدماء مضرّجون .

قـال فَعَظُم هـذا الكلام منـه على النـاس ، ولم يجسـر أحـدٌ منهم أن ينطق بحرف ، فقام إليه رجل عليه إزار قومسيٌّ سخين فقال :

ونحن نحمد الله ونصلي على محـمــد خــاتم الـنبييـن وسيّــد المـرسلين ، وعلى رسـل الله وأنبيـائـه أجمعين ، امـا مـا قلت من خيــر فنحن أهله ، ومـا قلت من سوء فـأنت وصاحبـك بـه أولى ، فـاختبـر يـا من ركب غيـر راحلتـه وأكـل غيـر زاده وارجـع مـأزوراً ، ثم اقبــل على النـاس فقال : « الا انبئكم بـأخلى الناس ميـزانـاً يـوم القيـامـة ، وابينهم خسـراناً ، من بـاع آخرتـه بـدنيـا غيـره ، وهـذا هـو الفـاسق » فـاسكت النــاس وخـرج الــوالي من المسجـد لم ينــطق بحـرف ، فســألت عن الـرجل فقيـل لي : هـذا جعفـر بن محمـد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (صلوات الله عليهم) .

أرأيت كيف كان الكبت والقهر السياسيين ؟

أرأيت كيف ضيّقـوا الخناق على الصـادق (عليه السـلام) ، حتى لا يجرؤ أحد السلام عليه وهو مارّ في الطريق !!

ولكن المعجـزة تتمثل في كـونه (عليـه الصلاة والسـلام) ماضٍ في الـطريق وسائـر على الدرب ، لا تثنيـه كـل هـذه العقبـات ولا تعيقـه كـل تلك العثـرات ، بـل وقـف طوداً شـامخـاً يـذلّـل الصعـاب ويجتـاز

المحن ، ويـدوس تحت أقدامـه كلَّ الـطواغيت والجبـابـرة المتكبـرين حتى انتصر في حربه الصامتة وثورته الكفرية المباركة .

من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم
من ينتظر وما بدّلوا تبديلا

الارتحال إلى الله

رأينـا كيف كانت آفـاق حياة الامـام الصادق (عليـه السلام) نيّـرةً مشعـةً ، وابعـادهـا عِـظاتٍ ودروسـاً يُلقيهـا على الامـة يهـذب ويؤدب ، يـربي ويعلم ، دون كلل أو ملل ، ويتجاوز كـل الصعاب بعـزم راسخ ، وهمة عالية .

كـان (عليه الصـلاة والسلام) معجـزة الدنيـا ، ومفخرة الانسـانية الخالد على مرّ العصور وكـرّ الدهـور ، ولقد حـاز ـ بحق ـ كل الفضـائل والمكارم ، وسبق العالم بعلومه ومعارفه .

ولقـد مضت سنّة آل البيت (عليهم السـلام) ـ أن يذكّـروا النـاس بـالله ، ويقـوِّمـوا النفـوس ، من خـلال سلوكهم العملي في الحيـاة ومـا يتعلق بشؤونهـا ، ويسخروا كـل خير وشـر ، وحلو ومـرّ ، ونعمـة ورخـاء وشدّة وضرّاء لصالح هذا الهدف (اصلاح الناس) .

وهـا هو الامـام الصادق (عليـه السـلام) في المشهـد الأخيـر من حيـاته الكـريمـة المعـطاء ، مسجّى على فـراش المـوت ، يعـاني الآلام نتيجـة للسم الـذي دسَّـه المنصـور العبـاسي في طعـامـه ، لا يفـوتـه أن يمـارس عمله التـربـوي والقـاء الـدروس في ميـادين شتّى من الاخـلاق الكريمة والصفات الحميدة، والعبادة ، ومواساة الناس . . .

عن سالمة مولاة أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليه السلام) قالت :

كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) حين حضرته الوفاة ، وأُغمي عليه فلما أفاق قال : اعطوا الحسن بن علي بن علي بن الحسين (الأفطس) سبعين ديناراً واعطوا فلاناً كذا ، وفلاناً كذا ، فقلت : أتعطي رجلاً حمل عليك بالشفرة يريد أن يقتلك ؟

قال : أتريدين أن لا اكون من الذين قال الله عز وجل فيهم **﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ، ويخشون ربّهم ، ويخافون سوء الحساب﴾**[1] . نعم يا سالمة ، ان الله خلق الجنة فطيّبها وطيَّب ريحها وأن ريحها يوجد من مسيرةِ ألفي عام ، ولا يجد ريحها عاقٌ ولا قاطع رحم .

هذا درس في صلة الرحم .

وفي حالته تلك لا ينسى أن يؤكد على أهمية الصلاة والتحذير من التهاون فيها ، والاستخفاف بها .

عن أبي بصير قال : دخلت على ام حميدة أعزيها بأبي عبد الله (عليه السلام) ، فبكت وبكيت لبكائها ، ثم قالت : يا أبا محمد لو رأيت أبا عبد الله (عليه السلام) عند الموت لرأيت عجباً ، فتح عينيه ثم قال : اجمعوا لي كلَّ من بيني وبينه قرابة .

قالت : فلم نترك أحداً الاّ جمعناه .

---

(١) آية (٢١) سورة الرعد .

قالت : فنظر اليهم ثم قال : « إن شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة » .

ويدخل عليه الشاعر (أشجع السلمي[1]) والامام مُسجّىً على فراش العلة ، يعاني حرارة السم - يريد مدحه وأخذ العطية ، فيغالب الامام نفسه ، ويتجالد أمام وطأة المرض كي لا يخيب الوافد ، ولا يقطع أمل الآمل .

عن موسى بن جعفر قال : كنت عند سيّدنا الصادق (عليه السلام) إذ دخل عليه اشجع السلمي يمدحه ، فوجده عليلاً فجلس وأمسك . فقال له سيّدنا الصادق (عليه السلام) عد عن العلة ، واذكر ما جئت له . فقال له :

ألبسك الله منه عافية	في نومك المعتري وفي أرقك
يُخرج من جسمك السقام كما	أخرج ذُلَّ السؤال من عنقك

فقال الامام : يا غلام أيش معك ؟

قال : أربعمائة درهم .

قال اعطها للاشجع ، فأخذها وشكر وولّى .

فقال الامام (عليه السلام) : ردّوه ، فلما عاد قال : يا سيدي

---

(١) أشجع السلمي : هو ابن عمرو ، أبو الوليد أو أبو عمرو من ولد الشريد بن مطرود السلمي . كان شاعراً مغلقاً مكثراً سائر الشعر معدوداً في فحول الشعراء في طبقة أبي نواس وأبي العتاهية وبشار وامثالهم - مدح الخلفاء وولاة العهود والوزراء والامراء وغيرهم ، وأخذ جوائزهم ، وحظي عندهم ، ودخل على الامام الصادق (عليه السلام) فمدحه ، وقد رثى الامام الرضا بقصيدة عصماء ذكرها أبو الفرج الاصفهاني في مقاتله .

سألت فأعطيت وأغنيت فلم رددتني ؟

قال : حدّثني أبي عن آبائه عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) أنه قال : خير العطاء ما أبقى نعمة باقية ، وإن الذي اعطيتك لا يبقي لك نعمة باقية وهذا خاتمي فان أُعطيتَ به عشرة آلاف درهم ، وإلا فعُدإليَّ وقت كذا وكذا أُوفك إياها .

قال : سيّدي قد أغنيتني ، وأنا كثير الاسفار ، واحصل في المواضع المفزعة ، فلو تعلّمني ما آمن به على نفسي .

قال : فاذا خفت أمراً فاترك يمينك على ام رأسك واقرأ برفيع صوتك ﴿أفغير دين الله يبغون ، وله أسلم من في السمٰوات طوعاً وكرهاً واليه ترجعون﴾ . .

ما أعظمك وما أكرمك ! أيّها الصادق البارّ .

ما اجلَّ صفاتك ، وما أنبل واسمى محامدك الشريفة .

انه الخلق النبوي ، والشرف العلوي ، والصبغة الهاشمية ، التي عُرف بها آل البيت (عليهم الصلاة والسلام) .

الوصية

نتيجة لألوان الظلم والجور والتعسّف التي كان الخلفاء يمارسونها ضدّ آل البيت (عليهم السلام) ، وبخاصة ما كان يعانيه الامام الصادق عليه السلام من المنصور العباسي أحجم في وصيته عن ذكر ولده الامام موسى بن جعفر (لوحده) لئلا يتعرف السلطان

على الامـام من بعده من خـلال الوصيـة ، فكان أن أخفى الامـام موسى بن جعفـر بـطريقـةٍ ذكيـة ، وأوصى الى خمســة ، ضمَّ إليهم المنصـور كـواحد من الأوصيـاء وكـان معهم ولـده ووصيُّـهُ الحقيقي الامـام مـوسى بن جعفر (عليه السلام) .

وإليك هذه الرواية :

قـال أبو أيـوب الخوزي : بعث اليَّ أبـو جعفر المنصـور في جوف الليل ، فدخلت عليـه وهو جـالس على كرسي ، وبين يـديه شمعـة وفي يده كتاب . فلما سلمت عليه رمى الكتاب اليّ وهو يبكي وقال : هذا كتـاب محمد بن سليمـان (والي المدينـة) يخبرنـا أن جعفـر بن محمـد قد مات ، فـإنا لله وإنـا إليه راجعـون ـ ثلاثـاً ـ وأين مثل جعفـر ؟ ثم قال لي : اكتب ، فكتبت صـدر الكتـاب . ثم قـال : اكتب إن كـان أوصى الى رجلٍ بعينه فَقَدِّمْهُ واضرب عنقه !

قـال : فرجـع الجواب اليـه : انـه قـد أوصى الى خمسـة ، هم : أبـو جعفر المنصـور ومحمد بن سليمـان ، وعبد الله ومـوسى ابني جعفـر وزوجته حميدة .

قال المنصور : ليس الى قتل هؤلاء سبيل .

وعن داود بن كثيـر الـرقّي قـال : أتي أعـرابيٌّ الى أبي حمـزة الثمـالي فسألـه خبـراً فقـال : تـوفيِّ جعفـر الصـادق (عليـه السـلام) ، فشهقَ شهقة واغمي عليه فلما أفاق قال : هل أوصى الى أحد ؟

قـال : نعم ، أوصى الى ابنه عبـد الله وابنه مـوسى ، وأبي جعفـر المنصـور ، فضحـك أبـو حمـزة وقـالِ : الحمـد لله الـذي هـدانـا الى

الهُدى وبيّن لنا عن الكبير ، ودلّنا على الصغير ، وأخفى عن أمر عظيم . فسُئِل عن قوله ، فقال : بيّن لنا عيوب الكبير ، ودلَّ على الصغير لاضافته إياه ، وكتم الوصية للمنصور ، لأنه لو سأل المنصور عن الوصي لقيل : أنت !

وهكذا أُسدل الستار على مبعث النور ، ومنبع الخير وانتهت الحياة الطاهرة الكريمة ، وارتحل الامام الى الله تعالى بقلبٍ مثقلٍ بالآلام والأحزان ، ولسان يلهج بذكر الله ، متأثراً بسُمٍّ دسَّه إليه المنصور العباسي على يد عامله على المدينة ـ آنذاك ـ (محمد بن سليمان) وكان ذلك في الخامس والعشرين من شهر شوّال سنة (١٤٨) هـ .

يروي الامام موسى بن جعفر (عليه السلام) كيفية وفاة أبيه الامام الصادق (عليه السلام) . . . الى أن يأتي على ذكر الكفن فيقول : « وكفّنت أبي في ثوبين شطويّين[١] كان يحرم فيهما وفي قميص من قُمُصه وفي عمامة كانت لعليّ بن الحسين (عليه السلام) ، وفي بُرد اشتريتُهُ بأربعين ديناراً » .

(١) شطا اسم قرية بناحية مصر تنسب إليها الثياب الشطوبة .

تشييع الجثمان

وضع جثمان الامام على سريره ، واجتمعت شيعتُهُ وخاصته ، وحملوا الجنازة الى حيث مثواه الأخير في البقيع بالمدينة المنورة ، وكان (الشاعر أبو هريرة الأبار[1]) ممن حضر جنازة الامام (عليه السلام) ، فلما رأى ذلك الجثمان الطاهر محمولاً على الايدي ، مودعاً الحياة الدنيا ، هاج به الحزن وتفتّحت قريحته بهذه الأبيات :

أقول وقد راحوا به يحملونه	على كاهل من حامليه وعاتق
أتدرون ماذا تحملون الى الثرى	ثبيراً ثوى من رأس علياءَ شاهِقِ
غداة حثا الحاثون فوق ضريحه	تراباً واولى كان فوق المفارقِ
الا يا صادقُ ابن الصادقين اليّة[2]	بآبائك الأطهار حلفةُ صادقِ
لحقاً بكم ذو العرش أقسم في الورى	فقال تعالى الله ربُّ المشارقِ
نجوم هي اثنا عشرة كُنَّ سُبَّقاً	الى الله في علم من الله سابق

---

(١) أبو هريرة الابار من شعراء أهل البيت المتقين ذكره ابن شهرآشوب في المعالم كان راوية شاعراً ناسكاً لقي الباقر والصادق (عليهما السلام) ، وكان يسكن البصرة .

(٢) الالية القسم وجمعها ألايا .

هدم قبره

دُفن في البقيع ـ كما سلف ـ حيثُ مقابر الهاشميين منهم أربعة من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، وهم : الحسن بن علي المجتبى وعلي بن الحسين (زين العابدين ، ومحمد بن علي (الباقر) ، وجعفر بن محمد (الصادق) (عليهم السلام) ، وبعض اعمام النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) ، وبعض نسائه وزوجاته ، ولعل الزهراء ابنته تكون مثوية هناك أيضاً .

وثمة قبور كثيرة اخرى كانت ملاذاً للداعين ومزاراً للمؤمنين لا يؤمّ أحدٌ مرقد النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) إلا ويُعرّج على قبور الأئمة والعترة في البقيع ـ كان ذلك منذ أن كان البقيع حتى الثامن من شهر شوّال سنة ١٣٤٤ هجرية ، حيث راحت معاول الهدم تعبث بهذه المراقد المباركة والمزارات الشريفة ، وتُزيل المعالم ، والآثار الاسلامية الخالدة لا لشيء سوى أن (المذهب الوهابي) لا يُجيز زيارة المشاهد المشرفة ، خلافاً لكل المذاهب الاسلامية المعروفة ، وخلافاً لسنّةِ المسلمين منذ اكثر من ألف سنة ، بل منذ عهد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) .

وكأنّ الله قدَّر لآل البيت أن يكونوا مظلومين في حياتهم مظلومين بعد وفاتهم .

وليت شعري هل مُحيت المفاسد وازيحت المظالم ؟ وازيلت المنكرات ؟ ولم يبق الاّ هذه القبور الطاهرة والمشاهد المشرّفة

والمراقد الزاكية ـ ليقوم الوهابيون بمحوها وازالتها ، ومنع الناس عن زيارتها ، والدعاء عندها .

ولو افترضنا أن قيام هذه القبور حرام ، والصلاة عندها ممنوعة في الاسلام ، وزيارتها منافي للشرع ، فهذا رأيكم ومذهبكم ، لا يوافقكم عليه عامة المسلمين .

فعلام هذا الاكراه في الدين ؟ وسلب الحرية في العقيدة ؟ لماذا هذا الاصرار على فرض الرأي الواحد ؟

اننا اليوم ـ كمسلمين ـ نطالب الحاكمين على الحرمين الشريفين أن يأذنوا بإعادة بناء معالم الاسلام التاريخية ، ومشاهد آل البيت المشرفة ، في البقيع وفي احد ، وفي مكّة المكرمة .

ان العالم المحتضر اليوم يعتزّ بجدار أثري واحد ، ويسخر كل طاقاته للدعاية لآثاره القديمة ، فما بالكم تهدمون كلّ الآثار ؟ اعتبروها آثاراً إن لم تعتقدوا بها كمزاراتٍ مقدّسة وبقعٍ مشرفةٍ طاهرة .

لقد كان المسلمون ولا زالوا منذ العهد الأول للاسلام يزورون القبور والمراقد ، ويتخذون أصحابها وسائل وشفعاء الى الله (واتخذوا اليه الوسيلة) .

فقد زار الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) ـ كما يذكر ذلك أرباب السير جميعاً ـ قبر عمّه حمزة بن عبد المطلب ، وأمر نساءه بالنياحة والبكاء عند قبره ومن بعده مضت السُنّة ، وجرت العادة لدى المسلمين ، في كل أقطارهم على ذلك النحو ، ولا زالت المشاهد

المتبركة قائمة في كثير من بلاد المسلمين ، يؤمّها المؤمنون من كل حدبٍ وصوب ، للصلاة عندها وزيارتها والتزوّد من بركتها ، ففي العراق ، وفي مصر ، وسوريا ، وايران تجد المزارات المتميّزة لآل بيت الرسول (عليه وعليهم السلام) ، ولغيرهم أيضاً .

فهل يا ترى يُخطىء هؤلاء المسلمون جميعاً ، ويصيب الوهابيون ؟

نسأل الله تعالى أن يهدينا سواء السبيل ، وأن يوفق المسلمين لاعادة البناء على المشاهد المشرفة في البقيع وغيرها من العتبات المقدّسة التي هُتِكت حرماتُها ،وأزيلت معالمها .

وسلام الله عليك أيّها الصادِقُ المصدَّق يا جعفر بن محمد ، رزقنا الله في الدنيا زيارتك ، واتباع هديك ، وفي الآخرة شفاعتك والحشر معك .

المصادر

١ ـ بحار الأنوار للعلاّمة المجلسي

٢ ـ نهج البلاغة للشريف الرضي

٣ ـ أشعة من بلاغة الامام الصادق

٤ ـ مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني

٥ ـ نور الابصار للشبلنجي

٦ ـ جلاء العيون

٧ ـ الاحتجاج للطبرسي

٨ ـ عيون اخبار الرضا

٩ ـ أعيان الشيعة للسيد محسن الامين .

١٠ ـ الكافي ـ للكليني

١١ ـ الغدير ـ للعلاّمة الأميني .

١٢ ـ الامام جعفر الصادق للمستشار عبد الحليم الجندي

١٣ ـ الامام الصادق رمضان لاوند

١٤ ـ الفهرست لابن النديم .

١٥ ـ الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي

١٦ ـ ينابيع المودة للقندوزي
١٧ ـ المناقب للخوارزمي
١٨ ـ أبو الحسين زيد الشهيد للسيد محسن الأمين .

الفهرست